اقرأ

توفيق الحكيم

بنك القلق

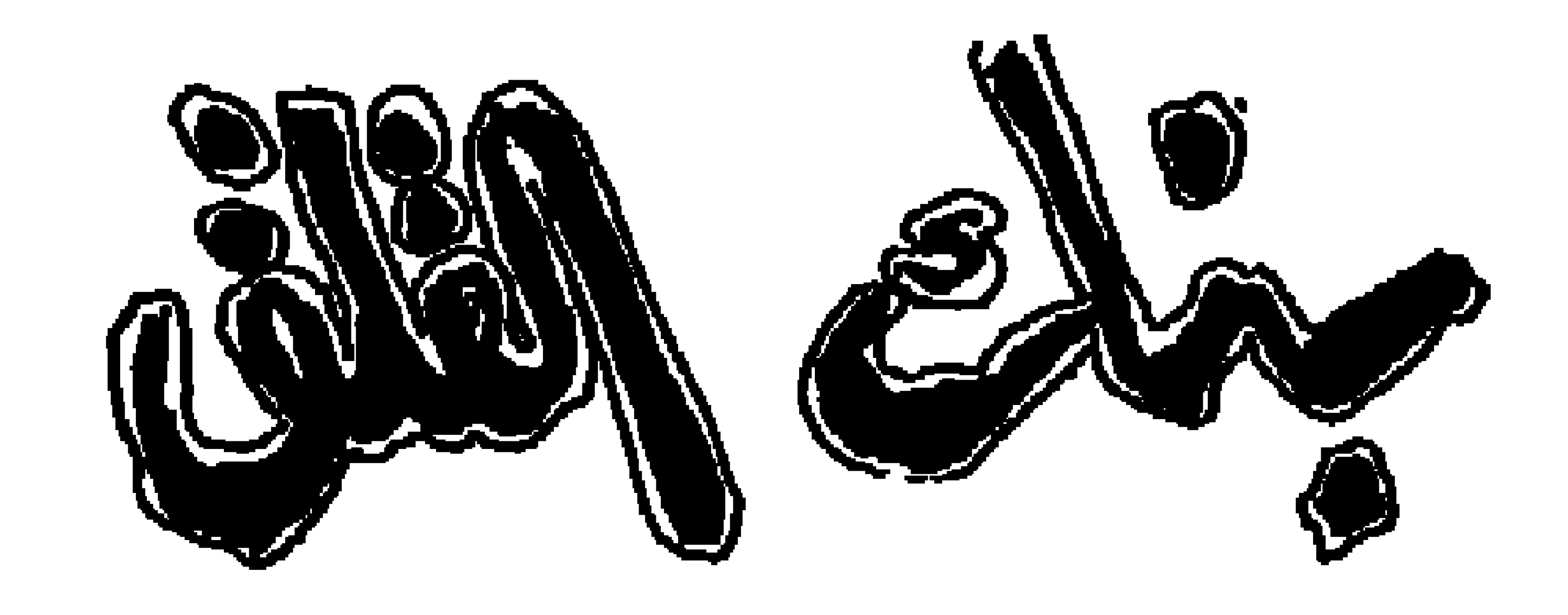



اقرأ
تصدر فى أول كل شهر


دار المعارف بمصر


بأسلوب اليوم وتفكير الغد

توفيق الحكيم



اقرأ ٣٤٧

دار المعارف بمصر

اقرأ ٣٤٧ – نوفمبر سنة ١٩٧١

الناشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. م. ع.

ناطحة سحاب عجيبة فى تركيبها .. يبلغ ارتفاعها خمسة أمتار . إنها ليست من أحجار . بل من آدميين استلقى أحدهم على ظهره فوق المسرح ، ورفع قدميه إلى أعلى . وجاء آخر فقفز فوق القدم اليمنى . وجاء ثالث فقفز فوق اليسرى . ورابع تسلق كتفى رجل اليمين . وخامس تسلق كتفى رجل اليسار . وإذا بسادس أو على الأصح سادسة حسناء ظهرت وانحنت تحيي الجماهير برأس فاحم قصير الشعر ، وقفزت هى الأخرى قفزة لا يدرى أحد كيف حدثت ، فإذا هى فى قمة هذا البناء الشامخ . ولم تمض لحظة حتى أقبل صبى يحمل صينية عليها أكواب وآنية بها شراب أحمر قذف بها هو الآخر فتلقفها أحد الرجال ، وظل يسلمها إلى الطوابق التى فوقه طابقاً طابقاً حتى استقرت فى يد الحسناء بالقمة فتناولتها ووضعتها على رأسها ، وصبت من الآنية الشراب الأحمر فى الكؤوس دون أن تستند بيدها . بينما جماهير الصالة تنظر وتصفق . .

الفصل الأول

وقف أدهم سليمان قرب أحد الأبواب يشاهد مع المشاهدين . وكان قد دخل إلى الصالة خلسة ، مدفوعاً بالفضول والفراغ والصعلكة . لم يكن مظهره يوحي بأنه ممن يستطيعون حجز كرسي أو مائدة في هذا المكان . لكنه كان يملك الجرأة على اقتحام مثل هذا الملهى . ولقد أعد جواباً سريعاً لمن يسأله عن سبب وجوده . إنه تابع دخل يبحث عن متبوعه . سائق سيارة خاصة . رسول موفد للبحث عن متفرج محترم . وسيذكر أي اسم يخطر على باله . وباله هذا لم يخذله يوماً في اختراع ما لا وجود له . رأس ملآن بالأفكار التي لا يقدرها أحد . شأن كبار المخترعين في أول أمرهم . الفرق بينه وبينهم في رأيه هو مجرد الحظ . وهو الآن في انتظار هذا الحظ ، لأنه سوف يمر به حتماً في مكان ما ، في لحظة ما ، كشعاع من الشمس لا بد أن يقع على وجهك مرة — في مكان ما ، في لحظة ما — في أثناء دوران الأرض الذي لا ينتهي .

على أن رأس أدهم سليمان مشغول الآن — بفكرة طرأت عليه وهو يتأمل ناطحة السحاب الآدمية هذه ، وقمتها رأس الآنية الزجاجية المملوءة تكاد تمس سماء المسرح ، ومن تحتها رأس الحسناء السمراء تطأ بقدميها طوابق من أكتاف رجال . كل ذلك راسخ كالبنيان . وكل هذا البنيان يمكن أن تطيح به سعلة صغيرة أو عطسة مفاجئة ! حقاً ! ماذا يمكن أن يحدث لو دهمت أحدهم عطسة ؟ سينهار بالطبع هذا البناء كله وينقلب الموقف البطولي إلى مهزلة ، في طرفة عين ! لماذا لا يحدث هذا ؟ ما من أحد سمع أن هذا حدث مرة فوق مسرح . مع أن هذا ممكن جداً . إن

أساس العمارة هذا . . ذلك الرجل المستلقى على ظهره رافعاً عموديه أى ساقيه ليحمل البناء مصاب ببرد مصحوب بزكام . وقبل المجىء الليلة فاتح تلك الحسناء فى ذلك . إنها زوجته . وليست مع ذلك زوجته . لقد طلقها مراراً وردها مراراً لسلوكها السيئ . عشاقها كثيرون تلك التى التقطها هو من الحانات والشوارع وعلمها ودربها . ما من شاب يحلو فى عينيها إلا وتهرب معه . فينفصل عنها الزوج ويتركها للمغامرة، إلى أن تنتهى الرغبة فتعود إليه صاغرة . ثم تهرب مرة أخرى ثم تعود . حياتها هروب وعودة . والزوج يقاسى وهى تقاسى . هو لا يدرى متى تستقر حياته الزوجية ، وهى لا تدرى متى تنتهى نزواتها !. . . إنها لا تستغنى عن نزواتها ولا عن زوجها . الزواج والطلاق يتأرجحان باستمرار فى هذه الحياة البهلوانية . وهو للساعة فى استلقائه على ظهره متزوج منها ، ولكنه لا يدرى موعد الانفصال القادم ! . . فى الأفق شبح مغامرة جديدة . يشمها ولا يتبينها . هذا القلق النفسى الذى يعيشه . وهذا القلق الجسمانى من عطسة زكامه . . . كيف استطاع أن يسيطر عليه فى هذه اللحظة ؟ . . إن مجرد التفكير فى العطسة أو السعلة ، وتصور هذا البنيان الشامخ وهو « يتدربك » فوق رأسه بين ضحكات الناس فى الصالة ، لكفيل بأن يحدث الكارثة ! . . ولكنه سيطر على كل هذا فى تلك اللحظة . بماذا ؟ !

. . . وهذه الحسناء فى القمة ، عندها قلقها هى الأخرى . كل واحد من هؤلاء « المتشعلقين » فى الفضاء ، بل كل واحد من الناس فى الصالة له قصة قلقه . هكذا كان يفكر أدهم وهو مستند بكوعه إلى الباب ، لا يدرى متى يطرد من هذا المكان الذى دخله خلسة . وحوّل بصره إلى الصالة التى عبق جوها بعطور الغوانى والسيدات ، ممتزجة برائحة الكباب المشوى . . إلى تلك الموائد التى يجلس إليها

نساء مع رجال ذوى جيوب سمينة كضروع البقر على المذاود . أمامهم الطعام والشراب وآنية الثلج الفضية كأنها الجرة التى يحلب فيها لبن هذا البقر . والحالبات موجودات . راقصات وغانيات تدربن على الملاطفة والمداعبة والملاعبة فى أثناء حلب الجيوب ، فى صورة زجاجات وكؤوس تسيل بلا انقطاع ، مستعينات فى أعمالهن بسقاة « وجرسونات » واقفين عن قرب ، بين عيونهن وعيونهم سلك كهربائى أسرع وأبلغ من كل زر أو جرس . . كل من فى الصالة من حالب ومحلوب تبدو على وجهه صورة انفعالية واحدة أمام النمرة التى تعرض فوق المسرح . لكن خلف هذه الصورة الواحدة ، آلاف وملايين من الصور المتعددة غير المكررة لأنواع من قصص القلق النفسى والجسمانى ، تدمغ كل فرد بدمغة مختلفة كبصمات أصابع اليد . وقصة قلق أدهم سليمان من بينهم معروفة له بالطبع . سببها بسيط فى نظره ، وسيوضحها هو تفصيلاً فيما بعد . أما الآن فى هذا المكان فهو يريد أن يقرأ وجوه الآخرين ، ليحل رموز تلك الشفرة التى تخفى حقيقة الصورة الظاهرة . إنها هوايته . وربما كانت مصيبته . وربما كانت مصدر حظه الذى لم يشرق بعد . ها هى ذى الموائد أمامه بمن عليها من قطيع مشغول بالأكل والشرب . أما الفرجة فقد استطاعها بالمجان . لكن الطعام ؟ ! يحسن أن يتخيل طعمه من مجرد النظر ، كما تخيل قصص الآكلين . هذه الشريحة من اللحم المشوى محاطة بالبطاطس المقلى ، موشاة بالبقدونس فى طبق هذا الرجل البدين . يفتك بها فتكًا لا هوادة فيه . لعل خلف هذا عملية انتقامية . لا محل للاسترسال فى حياة هذا الرجل . كل ما يهم منه الساعة هو طبق لحمة . وعلى الرغم من أن قطعة اللحم تبدو عسيرة على السكين ، لرداءة الماشية أو كبر سنها ، إلا أن اسمها لحم ، وأدهم لا يذكر متى أكل اللحم آخر مرة . وهو بخياله المنطلق يستطيع أن

يتذوقها خيراً من الآكل الحقيقى . فها هى ذى السكين فى يده هو قد سارت فيها كما تسير فى الزبد . وها هى ذى تذوب فى فمه سائغة شهية فى حين أن ذلك الآكل الحقيقى سيصاب بعسر الهضم .

وشغل أدهم بقطعة اللحم فلم يفطن إلى مائدة أخرى فى صدر المكان ، ليس عليها طعام أو شراب ، عليها فقط أطباق فاكهة . وسوف يفطن إليها قطعاً عندما يريد التحلية . وهذا ما حدث بالفعل بعد قليل . لكن الذى أدهشه أن هذه الفاكهة لا تمسها يد . أو على الأصح تناول منها أصحاب المائدة القليل ، بأناقة ، وتركوها فى الحال ، وانصرفوا إلى المشاهدة . لم يكن على هذه المائدة غير سيدتين . سيدة شابة فى نحو الثلاثين ، أنيقة مليحة نافذة العينين ، لهما لمعان خاطف كبرق المغنسيوم . أما صاحبتها فسيدة تقترب من الخمسين ، محتشمة صارمة الملامح ، وإن كان عليها آثار ملاحة قديمة ذبلت . لم يكن الأمر يحتاج إلى فراسة أو خيال لإدراك حقيقة الحال . فهذه امرأة شابة مع أمها أو حماتها .لكن لماذا هما فى هذا المكان وحدهما دون رجل مصاحب ؟ . . أليس للشابة زوج ؟ لا يمكن أن تكون فتاة لم تتزوج بعد ، مظهرها مظهر زوجة . لعلها أرملة أو مطلقة . نعم هذا هو الأرجح . وهى ترتاد هذه الأمكنة على حريتها . وحدها مع أمها . نعم . لا يمكن أن تكون حماتها إذن .

وهذه الأم تتبع ابنتها المتحررة سعياً وراء زوج جديد . إن منظر هاتين السيدتين الأنيقتين بدون رجل قد لفت النظر فعلاً . لكن الوقار المحيط بهما قد أقام حولهما سياجاً . وكانت نظرات أدهم هنا أيضاً موجهة إلى الفاكهة . ولم يلتفت إلى تغير النمرة فوق المسرح . فهناك الآن رجل يلبس الفراك ويلعب فى الهواء بثلاثة أسياخ مشتعلة . والنار المتوهجة منها تنتقل بسرعة خاطفة من إحدى يديه إلى الأخرى ،

فتصنع فى الهواء دوائر متداخلة تصبح أحيانـًا كأنها حلقة واحدة كبرى من النيران ، ثم تنفرج وتتشكل فى صورة نافورة ملتهبة . كان لمنظر اللهيب هذا تأثير غريب على السيدتين . فقد اهتزتا فى مقعديهما . وخامرتهما فى وقت واحد فكرة النهوض السريع والانصراف ، كالهرب من شيء مخيف . لكنهما تماسكتا . ثم فاجأت كل منهما الأخرى بنظرة رعب لم تلبث أن انطفأت فى إطراقة ذات معنى . صورة النار لها ولا شك دلالة مشتركة بينهما ! وكان فزع السيدة المسنة أكثر عمقـًا. وكأنها كانت تخشى تأثير النار على شيء ما فى أعماق السيدة الشابة. للنار قصة فى حياتهما إذن . قصة تريدان نسيانها أو تناسيها ، لكن عين أدهم كانت مركزة على طبق التفاح . فى أى تاريخ قبل الميلاد أو بعده وقعت فى يده تفاحة ؟ "

لا لزوم لإجهاد الذاكرة . إن الذاكرة عنده جهاز لم يعد يسترجع الماضى . إنه الآن يخلق صوراً حاضرة ومستقبلة . فهو غير قدير على تجميع أجزاء حياته الماضية . ولا جدوى فى ذلك عنده . لأنه لا يوجد عنده أمس . إنه قشة فى أمواج المجتمع . مجرد قشة . ولكنه لن يغرق . لأن القشة لا تغرق . إنه إذن مطمئن من هذه الجهة ، لكن هذا الاطمئنان نفسه غير مطمئن . هناك شيء أخطر من الغرق . شيء يشعر بوطأته هناك فى أعماق نفسه . على الرغم من هدوء السطح وصفاء الجو . هذا الوجه الخالى من الزوابع ، المشبع بعدم الاكتراث . لكنه يقاوم ... وأداته الابتسام . وهوايته أن يجعل القشة راقصة تلعب بالمرح فوق الموج . وها هى ذى النمرة فوق المسرح قد تغيرت . وظهرت راقصة تلعب ببطنها . فاستقبلتها الأيدى بالتصفيق ، والأفواه بالهتاف . وخاصة من رجل جالس فى الوسط بين غانيتين مبتذلتين تحلبان جيبه . رجل يبدو أنه حديث عهد بلبس البذلة . بذلة غالية الثمن لكنها

كالغريبة عنه ، يعلوها رباط عنق غير منسجم ، وأمام الرجل كؤوس كثيرة وأطباق دجاج محمر . لقد منع الجرسون من إحضار لحم . قال إن اللحم فى هذه المحال لا يؤكل . وهو أدرى . لأنه هو نفسه تاجر الماشية المورد لتلك اللحوم التى يروضها ويغازلها بسكينه ذلك الزبون البدين وتصيبه بعسر الهضم . نظر أدهم إلى ذلك التاجر ولم يحسده إلا على الدجاجة المحمرة . ثم انصرف عنه وبحث بعينيه عن السيدتين فوجدهما قد غادرتا الملهى . والجرسون ينظف مائدتهما ويرفع أطباق الفاكهة .

وأقبل فتى وفتاة ، مراهق ومراهقة من أنصار الخنافس . جلسا وهما يسألان عن موعد انتهاء هذه النمر السخيفة وابتداء حلبة الرقص . لكن هذه النمر لم يزل فيها بقية . ها هى ذى الراقصة قد اختفت . وحل محلها ممثل خفيف الظل يقوم بحركات من يديه وقدميه وحواجبه وعينيه ، ويحكى حكايات فكاهية ويلقى نكات هزلية ، يضحك عليها هو أولاً فتضج بعده الصالة كلها بالضحك . من سمع ومن لم يسمع . ومن كان مشغولاً بأكل أو شراب أو مغازلة قهقه أيضاً ثم سأل الرفاق عن النكتة ! وانتهى عرض النمر بالتصفيق الحاد . وصعدت على المسرح فرقة جاز بالسكسفون والجيتارات . وفى غمضة عين انفسحت بين الموائد حلبة رقص ، امتلأت وتلاحمت بأجسام مراهقين ومراهقات لا يدرى أحد أين كانوا ولا من أين طلعوا ! .. وانضم إليهم من الرجال والنساء من جاوز الشباب وبلغ الكهولة ولم يخرج عن نطاق المراهقة . وحمى وطيس رقص محموم اهتزت فيه الأكتاف وتخلعت السيقان ، وخيل للرائى أن أجزاء الإنسان تتطاير منفصلة فى المكان . والأفواه تصيح بكلمات لا معنى لها . . تويست . . هالى جالى . . شيك . . والصالة كلها — الجالس ، والراقص الرزين ، والخفيف — قد أصابتهم كلهم عدوى الجنون العام . لقد انقلبت الصالة كلها قطعة واحدة كبيرة

من المتفجرات الحية . ما هى العواطف الداخلية التى فجرت هذا كله ؟ ما الذى جرى للناس ؟ . . وقف أدهم سليمان ينظر إلى ما حوله ويحلل لنفسه عناصر هذه الحالة . كل هؤلاء ولا شك ليسوا فى حالة طبيعية . ما من أحد الآن فى حالة طبيعية . لماذا ؟

وسكتت الموسيقى فجأة . بغير مقدمات ولا مناسبة ، كما بدأت . شب الضجيج كومضة . ثم انطفأ كومضة أيضاً . وإذا كل من فى الحلبة قد تصبب عرقاً ، وانسحب إلى موائده فى استراحة قصيرة ، ملأها ظهور مغنية تلقى منولوجها المعروف :

وردتى يا وردتى
شم الغرام فى وردتى
ريحة الحبيب بذمتى
تلقاها جوا وردتى

وكانت تحمل بالفعل سلة فيها ورد ، تلتقط منه وتقذف به الجالسين . وتركت المسرح ونزلت الصالة ، تسير بين الموائد تغنى أغنيتها وتنثر وردها أو تقدمه بنفسها إلى صاحب الحظوة من زبائنها ، أو من كتب له السعد أن يظفر بالتفاتها . لم يبق فى الصالة أحد لم يخرج عن رزانته . الجميع يشبون ويشرئبون طلباً للورد أو للمغازلة أو لمجرد الزياط والفرفشة . الصاحى منهم والسكران . شخص واحد فقط بين كل هذا الحشد الزاخر والموج المادر ما تحرك من موضعه . هو بالطبع أدهم سليمان . ظل فى موقفه كتمثال . وقد بدا كمخلوق غريب فى ثباته بين هذه الحركة المائجة . كانت المغنية قد اقتربت منه . ولاحظت جموده فألقت إليه بوردة فيمن ألقت . وتهافت الآخرون . أما هو فلم يتحرك . ولم يعن بالنظر إليها ولا بالتقاط وردتها . وتركها تسقط عند قدميه . وتعجبت المغنية وأقبلت عليه ، ومدت يدها إليه بوردة

أخرى . لكن التمثال لم يتحرك . فهزته بيدها مستغربة : أيوجد من يرفض وردتها ؟ لم تظفر منه برد . وكان الناس قد بدءوا يفطنون إلى طول وقوف المغنية أمام ذلك الشاب النحيل ، الذى لا يبدو عليه تأنق ولا يسر حال . فصوّبوا إليه الأنظار . وبدأ التهامس . ثم علا اللغط وتساءل الناس : ما هذا ؟ . . من هذا ؟ . . ولم تجد المغنية حيلة مع هذا الشاب الغريب . ورأت أخيراً ببديهتها الفنية والمهنية أن تخرج من هذا الموقف بشبه نمرة مسرحية ، فتناولت زجاجة صودا « سيفون » موضوعة على مائدة قريبة . وقالت مع ضحكة رنانة : « حضرته حران ويلزم له دش بارد ! » ورفعت الزجاجة إلى رأس أدهم وضغطت على مفتاحها ، فاندفع ما فيها من غاز فوّار ملأ وجهه بالزبد والحبب . فضج الجمهور بالضحك وتحركت الأكف بتصفيق الاستحسان للنمرة المرتجلة. ومع ذلك ظل أدهم بغير حراك . لم يلفظ حرفاً . ولم يرفع يداً لمسح وجهه. وانصرفت عنه المغنية وهى تهز كتفيها . عادت إلى مسرحها تتبعها العيون . وانصرف اهتمام الناس عن أدهم . وأحس أن أحداً لم يعد ينظر إليه . فأخرج منديله وجعل يمسح رأسه ويجفف وجهه . ثم ترك مكانه وانسل خارجاً من الملهى .

كان الجو فى الخارج لطيفاً. فهى ليلة من ليالى مايو القاهرية . كان السير على كورنيش النيل ممتعاً . وقد كثرت خلوات العشاق على مقاعده الحجرية . التصق كل فتى بفتاته. وأدهم يمر بهم ويرى النتيجة بعين الغد . أزمة مساكن ومواصلات ومواد استهلاكية ! .. هذا هو حاصل الجمع والطرح والقسمة فى العمليات الغرامية لعصرنا الحاضر . ما يقلق العاشقين الآن هو كيف يجتمعان . وعندما يضمهما سقف واحد ويتعرى بينهما كل شىء يلبس القلق ثوباً جديداً . .

تعب أدهم من السير . واستبعد فكرة العودة إلى مسكنه . فهذا

المسكن أو الجحر أو الشقة الصغيرة فى ذلك البناء القديم بحارة ضيقة من حوارى شارع محمد على لا تدخله الآن نسمة هواء . ثم إن المصباح ليس به نقطة جاز . إنه بالطبع لا يستعمل الكهرباء حتى لا يتشرف بزيارة قارئ العداد ومحصل النور . وما حاجته إلى نور ، وهو لا يدخل مسكنه قبل الفجر ، ما دام التسكع فى الطرقات مباحاً ، والشوارع بالليل مضاءة . لا بأس من النوم نهاراً . ولا بأس عند الضرورة من تعسيلة قصيرة تحت قبة هذه الشجرة ، فوق هذا المقعد الحجرى الخالى . . واتجه بالفعل إلى مقعد يلقى عليه جسمه المتعب . لم يكن المقعد خالياً تماماً . هناك شخص يجلس عند أحد طرفيه . يجلس بلا حراك هو الآخر . فى نعاس لذيذ على ما يظهر . إذن فليجلس هو على الطرف المقابل . لن يزعجه شيء . وجلس وتنفس براحة فى تنهد طويل ، وبصره يحتضن النيل كله أمامه احتضان المالك لملكه . ويبدو أن صوت تنهده كان مرتفعاً واضحاً ، فأيقظ النائم إلى جواره وجعله يلتفت إليه ويحملق فيه . حملق كل منهما فى صاحبه . وهنا انطلقت من كل منهما صيحة فى نفس الوقت . . .


المنظر الأول

(أدهم والشخص الآخر وقد اقترب أحدهما
من الآخر فوق المقعد الحجرى . . .)

أدهم : (صائحاً بدهشة) شعبان جاد عوضين ! . .

شعبان : (بنفس الصيحة) أدهم سليمان ! . .

أدهم : صدفة سعيدة ! . .



شعبان : صحيح . والله زمان ! . . سنين فاتت تجرى ! . .
أدهم : من أيام الكلية . . فاكر ؟
شعبان : طبعاً فاكر . . كلية الحقوق . . أيام لا يمكن أن تنسى .
أدهم : كنا والله طلبة مجتهدين . لكن الحظ .
شعبان : أنت سقطت فى كم مادة .
أدهم : أنا أسقط فى مواد .
شعبان : ولا أنا .
أدهم : يظهر أن الحال من بعضه . وما حصل لى حصل لك .
شعبان : تمام والله ! . . وأنت ماذا حصل لك ؟ . .
أدهم : أقول لك . . أنا يوم الامتحان ذهبت وكلى أمل واستبشار . أحمل أقلامى وأدواتى مما جميعه . ومذاكر المقرر على خير ما يكون الطالب المجد المجتهد . جلست فى مقعدى . ومر علينا المراقب يوزع الأسئلة نظرت فى ورقة الأسئلة فوجدت العجب . .
شعبان : ماذا وجدت ؟ . .
أدهم : لم أجد فيها كتابة على الإطلاق !
شعبان : كانت خالية ؟
أدهم : كان فيها فقط رسم . . صورة واحدة . صورة حمار بأذنين طويلتين يخرج لى لسانه ! . .
شعبان : عجيبة ! . . وماذا حدث ؟
أدهم : قمت بالطبع متفضاً . وصحت فى المراقب وعرضت عليه الورقة . . والحمار المصور فيها . فقال لى بكل تبجح إنها صورتى أنا . . .
شعبان : أما إنه رجل سمج وبلط صحيح ! . .

أدهم : والأكثر من ذلك أنى عندما أفهمته بكل أدب أنى أنا لست واضع الأسئلة ، وأنه إن كانت هذه صورة أحد فلا بد أنها صورة الممتحن ، ما كان منه إلا أن طردنى من قاعة الامتحان . فخرجت بلا عودة ! . .

شعبان : عملت طيب .

أدهم : وأنت؟ . . ماذا حصل لك ؟

شعبان : نفس الشيء تقريباً . ذهبت يوم الامتحان . مثلك بكل اطمئنان . أحمل أقلامى وأدواتى ومذاكر المقرر إلى آخره . . إلى آخره . . وإذا بهم يقولون لى : صح النوم أنت جئت متأخراً عن يوم الامتحان أسبوعاً . وعليك أن تشرف فى العام القادم . فلما جاء العام القادم ذهبت إليهم بأقلامى وأدواتى . . إلى آخره . . إلى آخره . . فقالوا لى بكل بجاحة : أنت حضرت مبكراً عن يوم الامتحان أسبوعين. فلم أطق هذا التلاعب . وصحت بهم غاضباً : عندما تعرفون ضبط مواعيد كم أخبرونى ! . . وتركتهم وذهبت بلا رجعه ! . .

أدهم : عملت طيب .

شعبان : نهايته . ما علينا من كل هذا التهريج . . معك سيجارة ؟

أدهم : معى كبريت .

شعبان : كبريت فقط ؟ . .

أدهم : فقط لا غير . وعلى الأصح عود واحد كبريت . وعلى الأرجح أنه منطفىء ! . .

شعبان : عود واحد كبريت ومنطفىء . . ولماذا تحتفظ به ؟ . .

أدهم : أحتفظ به . . لأن الاحتفاظ قانوناً مظهر من مظاهر الامتلاك . أنا إذن أمتلك شيئاً . وهذا هو عندى رمز الملكية.

شعبان : الملكية المنطفئة !
أدهم : الملكية هى الملكية . وهذا هو رمزها عندى . وهذه مزية لا يستهان بها .
شعبان : مفهوم .
أدهم : لا يبدو عليك أنك مقتنع .
شعبان : الواقع أن امتلاك عود كبريت هو فى حد ذاته لا غبار عليه . لكن كونه منطفئاً . . مسألة تحتاج إلى بعض الشرح !
أدهم : أشرح لك . . معنى كونه منطفئاً هو أنه كان قبل ذلك مشتعلاً . لأن الانطفاء منطقياً لا بد أن يسبقه اشتعال . فعود الكبريت الذى معى كان إذن فى يوم ما قابلاً للاشتعال . ولهذا المعنى مزية لا شك فيها .
شعبان : مفهوم . مفهوم .
أدهم : وأنت ؟ . . بماذا تحتفظ ؟
شعبان : بكل المزايا التى تحتفظ أنت بها .
أدهم : عظيم .
شعبان : بالاختصار أنا وأنت ممن ينطبق عليهم قانوناً ومنطقاً وصف : مفلسين !
أدهم : بالضبط .
شعبان : لاحظ أن انطباق أى وصف على أى شىء أو أى شخص هو أيضاً مزية من المزايا .
أدهم : تمام .
شعبان : الحمد لله على كل هذه النعم ! . .
أدهم : اسمع . . أنا عندى فكرة .
شعبان : بخصوص السيجارة ؟ . .

أدهم : لا . . لا . . فكرة نيرة ! . .
شعبان : تقصد مشتعلة . . سابقًا ؟ !
أدهم : أنا الآن أتكلم بجد . . افتح أذنيك جيداً واستمع إلى ما أقول. لأن هذه الفكرة مهمة جداً . وليست بنت ساعتها . إنها تراودنى من زمن . وكنت أتحين الفرص لوضعها موضع التنفيذ . كان ينقصنى زميل يساعدنى . والآن بوجودك أصبح العمل ممكنًا . إنها فرصة العمر . .
شعبان : فرصة العمر ؟ ! أسرع بها من فضلك ! .
أدهم : تأكد يا شعبان أنها فرصتنا الوحيدة فى الحياة . . أنا وأنت . .
شعبان : ما هى ؟ . . انطق ! . .
أدهم : هى أن نؤسس بنكًا .
شعبان : نؤسس ماذا ؟
أدهم : بنكًا . . « بنك » ، أى مصرف . . ألم تسمع عن كلمة بنك . . بنك مصر . . بنك إنجلترا . . بنك فرنسا . البنك الأهلى . . بنك . . بنك . . بنك . .
شعبان : آه . . .
أدهم : لماذا تقول آه ؟ !
شعبان : لأن الكلام معقول .
أدهم : الواقع أن الفكرة فى غاية البساطة . وغاية الوضوح . وقد وضعت يدى عليها تمامًا .
شعبان : وضعت يدك عليها ؟ !
أدهم : تمامًا . . وأعتبرها الآن فى جيبى .
شعبان : فى جيبك ؟ ! الحمد لله ! . .
أدهم : أتعرف من هو أول من ابتكر فكرة البنك ؟ . .

شعبان : من هو ؟
أدهم : مفلس عبقرى . مثلى ومثلك .
شعبان : فعلاً هذه الصفات تنطبق علينا .
أدهم : انتهينا . نستخير الله إذن ونفتح البنك . موافق ؟
شعبان : موافق طبعاً . ما دمنا حائزين للشروط .
أدهم : هيا بنا إذن ! . .
شعبان : هيا بنا ! . .
أدهم : أتعرف ما هى عمليات هذا البنك ؟
شعبان : لا .
أدهم : إذن انتظر حتى أشرحها لك .
شعبان : تفضل ! . .
أدهم : قل لى أولاً ما هو داء عصرنا الحديث الذى يشكو منه أكثر الناس ؟
شعبان : الإفلاس .
أدهم : هذا طبعاً داء . لكن داء العصر الذى أقصده يصاب به أيضاً الأغنياء والفقراء على السواء .
شعبان : السرطان .
أدهم : لا . إنه داء نفسى يصيب الروح .
شعبان : ما هو ؟
أدهم : القلق . البنك الذى سنفتحه سيتعامل فى القلق . معاملاتنا ستكون فى صنف القلق .
شعبان : صنف القلق ؟
أدهم : نعم . كما تتعامل البنوك الأخرى فى صنف النقود . إنها تقرض وتقترض فى نفس الوقت . تقرض بفائدة كبيرة وتقترض

بفائدة صغيرة . والفرق هو مكسبها . نحن أيضاً سنعالج ونتعالج فى نفس الوقت ــ نعالج بأجر كبير ونتعالج بأجر أصغر . والفرق هو مكسبنا . فهمت ؟ . .

شعبان : فهمت . لكن . . يعنى المطلوب منا أن نكون أطباء ومرضى فى نفس الوقت .

أدهم : بالضبط .

شعبان : وإذا رفض الزبون علاجا ؟ . . إذا قال إنه غير مختص .

أدهم : ما من أحد يرفض علاج أحد فى هذه الأمور . يكفى أن تعرض متاعبك الداخلية على الغير لينقلبوا نصحاء وأطباء ، بقدرة قادر ، بعلم وبغير علم !

شعبان : الواقع أن فكرة هذا البنك بدأت تدخل عقلى . . الظاهر أنك استفدت من دروس الاقتصاد السياسى ! . .

أدهم : وأنت ماذا كنت تفعل فى كلية الحقوق ؟

شعبان : كان كل اهتمامى بدروس الشريعة والزواج والطلاق والنفقة . لأنى وأنا بالكلية كانت على ذمتى زوجة أنوى طلاقها .

أدهم : والآن تحررت طبعاً .

شعبان : الحمد لله . تخلصت منهن جميعاً .

أدهم : منهن جميعاً ؟ ! كن إذن أكثر من واحدة ؟ !

شعبان : بالطبع كن كثيرات ، بعد أن تركت الدراسة وسرت فى الحياة . لعنة الله على النساء . ابتليت والعياذ بالله بداء النسوان . كلما رأيت واحدة لم أملك أعصابى . صرت أضم الواحدة إلى الأخرى فى سبحة الزواج ، حتى أصبحت السبحة طويلة . كنت أسبح بهن جميعاً . . واحدة . . اثنتين . . ثلاث . . أربع . .

أدهم : أربع ؟ ! . .

شعبان : على ذمتى . والخامسة « ستبن » . موجودة تحت النظر لتحل محل من تطلق . .

أدهم : ومن أين تأتى لهن بأكل ؟ . .

شعبان : كل واحدة تؤكل نفسها . كن كلهن موظفات وعاملات . وأنا أيضاً أؤكل نفسى . عملت فى مختلف المهن والأشغال . حتى الكرة . اشتغلت فى ناد رياضى . كنت أريد أن أكون لاعباً . ونجحت فى الالتحاق بالفريق . وإذا بهم يقولون لى بعد أول مباراة إنى كنت ألعب بالقدمين واليدين فى وقت واحد . وحولونى إلى الأعمال الإدارية للنادى . ولكنى تركتهم واشتغلت بالسمسرة فى شركات تأمين . ثم موظف فى شركة إعلانات . ثم وكيل للمحامين الشرعيين . لأن نفقة المطلقات دوختنى . وأخيراً عشت منفرداً كما ترى . ألتقط اللقمة حيث أجدها ــ أى لقمة . والمرأة حيث تسمح الظروف . أى امرأة . ولتحى الحرية ! . .

أدهم : نعم . فلتحى الحرية !

شعبان : وأنت ؟ . . ألم تتزوج ؟

أدهم : لا . أبداً . . عملت فى الصحافة . . مخبر يأتى بأخبار المجتمع . ونجحت إلى حد ما . إلى أن قالوا لى أخيراً إن جميع أخبارى أؤلفها بخيالى وأنا على مكتبى . وسحبوا منى العمل وأنزلونى المطبخ .

شعبان : مطبخ الأكل ؟

أدهم : مطبخ الجريدة . عمل روتينى سخيف . تركته لهم وخرجت أهيم على وجهى بكامل حريتى .

شعبان : إذن نحن الاثنين أحرار .
أدهم : نعم . لنختار العمل الذى ينبع من صميم عبقريتنا . وقد وجدناه والحمد لله .
شعبان : البنك .
أدهم : نعم . والآن قم بنا نعد العدة للتأسيس . أولاً يلزم لنا إعلان .
شعبان : أين سيكون مركزه الرئيسى ؟
أدهم : أين تسكن أنت ؟
شعبان : الآن مؤقتاً فى حجرة بسطح عمارة فى حارة . .
أدهم : لا . . . لا . . . لا . . . حجرة فوق سطح ، بحارة . . . هذا لا يمكن .
شعبان : وأنت ؟ أين تسكن ؟
أدهم : أنا أحسن منك على كل حال أنا فى شقة من حجرتين ومدخل .
شعبان : عظيم . إذن شقتك هى مركز البنك . أعطنى العنوان وأنا أتكفل بالإعلان . هذه شغلتى .
أدهم : ستعلن فى الصحف ؟ . .
شعبان : لا . . . لا . . دعك من الصحف . . إنها تتكلف نقوداً . ونحن كما تعلم لا نتعامل بالنقود . . اترك إعلانات الصحف هذه لبنك مصر والبنك الأهلى . أما بنكنا نحن فيجب أن تكون طريقة إعلانه مبتكرة ونابعة من صميم عبقريتنا !
أدهم : كيف ؟
شعبان : ستعرف ذلك فيما بعد . هذا شغلى . المهم الآن صيغة الإعلان ،
أدهم : معك ورقة وقلم ؟
شعبان : طبعاً لا .

أدهم : الصيغة على كل حال لن تخرج عن هذا المعنى : القلق ، كلنا مصاب بالقلق من أجل شيء ما . إذا كنت مصاباً بقلق فاحضر إلينا نعالجك . وإذا لم تكن مصاباً فاحضر إلينا وعالجنا . وهى تجربة طريفة . فلا تضيع فرصة هذه التجربة .

شعبان : جميل . هيا بنا الآن نعاين المركز الرئيسى .

أدهم : تقصد شقتى . إنها لا ترى إلا فى مطلع الفجر .

شعبان : إذن قم بنا نعاين الشوارع التى ستلصق بها الإعلانات .

أدهم : وهل ستلصق إعلانات شوارع ؟

شعبان : طبعاً . . افتتاح بنك !

أدهم : لكن . .

شعبان : ولا كلمة ! . . قم بنا فى الحال نباشر مهام أعمالنا !

(ينهضان ويسيران . .)

الفصل الثانى

سار الزميلان فى الشوارع متلكئين . أحياناً يكلم أحدهما الآخر كلاماً مقتضباً . وأحياناً يكلم كل منهما نفسه . وأحياناً يصمتان ويشردان ، وفى كل الأحيان تحصى عين شعبان أكشاك السجاير ، ويرقب بنفاد صبر طلوع الفجر . حتى يستطيعا أن يدخلا ذلك الجحر . شقة أدهم . عدوة الليل . ولم يكن هرب أدهم من شقته ليلاً يخلو من فائدة . ما من أحد استطاع أن يعرف حياة الشوارع ليلاً مثل أدهم . إنها معرفة ألفة وصداقة . لا معرفة ضرورة . إنه يمشى فيها إلى غير هدف . يتمهل فى أحشائها بغير استعجال للنور . ويتباطأ فى الخطى دون رغبة فى وصول . وكلما وجد نفسه الصاحى الوحيد وسط الشوارع الساكنة خيل إليه أنها لا تعرف أحداً غيره . وكل تلك البيوت النائمة والحوانيت الهامدة إنما هى أطفال تهجع فى أحضانه الساهرة . وهذه التماثيل الواقفة تخطب فى الظلام بجموع وهمية ، هو وحده الذى يستمع إليها . هو الوحيد الآن الذى يمكن أن تقوم بينه وبينها علاقة وحوار . وكلما مر ليلاً بتمثال طلعت حرب مؤسس بنك مصر قال له : « تكلم . . تكلم . . إنى مصغ إليك . ولا فرق الآن بينى وبينك ، فما فى جيبى يساوى الآن بالتمام ما فى جيبك » .

على أن هناك فوق ذلك متعة أخرى قلما ظفر بها غيره فى تلك السويعات المهجورة ، هى متعة الاستماع إلى الطيور عند استيقاظها ، إنه حريص على أن يمر دائماً عند بزوغ الفجر قرب حديقة الأزبكية . هناك تبدأ فى العزف أوركسترا الطيور . تطلق العصافير أولاً زقزقاتها

الوترية ، يصاحبها لحن قرار من ذكر الحمام ، ثم تدخل ميلودية رقيقة من هديل اليمامات ، تقطعها أصوات معدنية من صرخات الحداءات ، ترد عليها قعقعة صماء من نعيق الغربان ، تلطفها خلفية هامسة من هدهدة المداهد ، ويتخللها بين حين وحين صفير من ناى العندليب . . شمفونية مرتجلة تضعها فرقة كاملة مؤتلفة فنيًّا مع تنافر أنواعها ، وتؤديها أداء محكمًا كل فجر ، ولا يسمعها أحد غيره .

فالمستيقظ فى تلك الساعة إما مؤمن يهرع إلى صلاة الفجر فى أقرب مسجد ، فهو مشغول بصلاته . . وإما مخمور خارج لتوه من حانته ليؤوى إلى فراشه ، فهو فى غير وعيه . . وإما عامل ذاهب إلى مصنعه ، فهو يفكر فى مواعيد العمل وزحمة المواصلات . . وإما فلاح يسرح إلى غيطه ، فهو يسوق أمامه جاموسته وحماره ، ويصغى إليهما أكثر من إصغائه إلى الطيور ، فلديه ما يشغله عن موسيقى الطير . إلا إذا كان شاعراً . كما كان فى طفولته أدهم سليمان أبو حوايه . لقبه « أبو حواية » هذا حذف عند التحاقه بالمدارس . لكنه عندما كان طفلاً بقريته (كفر عنبة) لم يكن عريف الكتاب يناديه إلا بالولد أبو حواية .

فى تلك الأيام كانت صلته وثيقة أيضاً بالفجر . كان يحب سماءه الرمادية ، ثم اللون الأرجوانى الصاعد فوق الأفق شرقى الترعة . على أن الذى كان يسحره حقًّا هو صوت القبرة ، ورد أبى فصادة ، فيقف يتلكأ قربهما وتحت إبطه ربع القرآن واللوح الإردواز . وفى عودته يترك رفاقه الصغار ويجلس على شط الترعة يلعب فى الطين ويصنع تماثيل صغيرة للقبرة وأبى الفصاد . إلى أن مر به ذات يوم حمار يشرب بجواره من الترعة ، وفوقه غازية غجرية خلفها طبالها وزمارها . قالت له وهى تشاهد طيور الطين إنها تستطيع أن تصنع له جملا . جملا كبيراً من الجريد . جريد النخيل المعرش أمامه على حافة الأجران . فما إن سمع منها ذلك

وأدار الصورة فى مخيلته حتى تعلق بها وتشبث بذيل حمارها ، وسار خلفها من قرية إلى قرية . ونسى كتابه وعريفه وبيته وأمه وأباه الشيخ المزارع الطيب . وظل غائباً يومين وأهله يقيمون الدنيا ويقعدونها ! . . إلى أن عثر به أحد أهالى قريته فأمسك به وأعاده إلى أهله . إنه متشرد من يومه ، هكذا قال فى نفسه وهو سائر صامت إلى جوار زميله شعبان . وكم خيب آمال أهله فيه .

وتذكر والده الشيخ عبد الصمد أبو حواية وفدادينه الخمسة التى يستأجرها فى أطيان البك الكبير عادل بك عاطف الوجيه الأنيق . وقفته المهيبة كانت تبهره هو وبقية أطفال القرية . أنظارهم كانت تتعلق بالمقبض الذهبى لشمسيته وهو يشرف بنفسه على جمع القطن فى شهر سبتمبر من كل عام . الشهر الوحيد الذى يجىء له من القاهرة مع أسرته . زوجته الحسناء وأختها الصغرى اليافعة وابنته الطفلة مرفت . كان يسمع الخدم ينادونها مرفت هانم أو الست للصغيرة مرفت ، وهى تلح وتبكى لتركب حصان البك الكبير . كانت فى الرابعة وكان هو فى العاشرة . يراها بعيدة مثل ثمرة البرتقال والرمان والجوافة التى تمايل فوق الأشجار من خلف سور الحديقة المحيطة بالسراية . هكذا كانوا يسمون الفيللا التى يقطنها البك . مرة واحدة غامر وتسلق السور ومد يده إلى ثمرة جوافة قطفها من غصنها المتدلى ، ولمحه الخولى وقامت الضجة وأجرى التحقيق . وسمع من يقول إنهم سيوقعون غرامة على أبيه ــ ما زال يرن فى أذنه صوت أبيه المتألم : « ليه يا ابنى ليه ؟ » لكن القطوف الدانية فوق الشجر أتوجد يد طفل تقاوم إغراءها ؟ !

ولكنه أيضاً يرى أباه وقد جروه ذات صباح إلى سجن المركز بتهمة التبديد . كان أبوه يصيح قائلاً إنه معترف ولا ينكر بيعه قطنه المحجوز عليه لعدم سداد الإيجار . كان ذلك ياناس ضرورياً لتجهيز ابنته

الكبرى للزواج . ها هو ذا الصندوق الأحمر يتراءى لعين الطفل . كان موشى بزخارف طالما لعب فيها خياله . وإلى جوار الصندوق مرتبة ولحاف ببوشه . وحلل وطست نحاس أحمر . ثم ثوب من القطيفة السوداء ومكحلة نحاسية صغيرة ، وزوج غوايش ذهبية وزجاجبة ونميسة ذهب بجلاجل . ولكن رنين صوت أبيه ما زال فى أذنه وهو واقف يستعطف قرب باب السراية ، ثم يضع كفه على رأس طفله ويرفع عينيه إلى السماء داعياً : ليس بكثير عليك يارب أن تجعل ابنى من الحكام ، فى يده أمر السجن والإفراج ! . .

ولقد أصر فعلاً على تعليم ابنه . أرسله إلى خاله فى القاهرة . عطار صغير فى خان جعفر ، ونجح أدهم فى كل مراحل التعليم . لم يبخل عليه أبوه بكل ما استطاع من مصروف ، ولا والدته بكل ما استطاعت من تدبير المؤونة من جبن وبيض وبتاو وبرام أرز تصله من حين إلى حين . وعندما التحق بكلية الحقوق باع والده الجاموسة لينفق عليه . لكنه كان قد بدأ يقرض الشعر . ويعتنق آراء غريبة ، ويرى الدنيا بعينه الخاصة . ومات والده وفى قلبه حسرة يوم علم أنه ترك كليه الحقوق واشتغل بالصحافة . ثم اعتقل . ثم أفرج عنه وعاد إلى الصحافة . . ثم لم يعد أحد فى قريته يسمع عنه شيئاً . انقطعت صلته بأهله . قيل له وهو فى المعتقل إن أمه أيضاً ماتت . لم يبق له أحد يهمه سوى أخته الكبرى التى تزوجت وسمع أن زوجها الفلاح قد ملكوه خمسة أفدنة فى الإصلاح الزراعى ، لكنه الآن بعيد كل البعد عن كل ذلك . دنياه الآن مختلفة . ورأسه يموج بأفكار . . وأفاق أدهم فجأة والتفت إلى زميله شعبان فوجده يسير هو الآخر تاركاً العنان لهواجسه . وربما هو أيضاً لذكرياته . كانت مصابيح الشوارع لم تزل ترسل أضواء خافتة أمام بواكير الصباح : قال له آن الأوان لتشريف الشقة . واتجها بجد نحو شارع محمد على .

لم يكن أدهم يعرف شيئًا عن أسرة شعبان جاد عوضين ولا عن نشأته . كل ما يعرف عنه أنهما كانا زميلى دراسة فى الكلية . ثم زميلا تشرد الآن . ولما نكشه قليلاً ليفضى إليه بشىء ، أجابه باختصار أن والده كان برادًا فى عنابر السكة الحديد ، ثم تركها واشتغل عند ميكانيكى سيارات إيطالى ، ثم استقل بورشة صغيرة عبارة عن دكان واحد فى حى باب الخلق . وأن له أخوين أكبر منه ، استمرا فى الدراسة ونجحا . أصبح أحدهما مهندسًا والآخر مدرسًا . وتركا الحى وعاشا حياتهما المستقلة ، أما هو فقد ابتلى وهو فى الكلية بحب فتاة فى الحى . سحرته بلفة جسمها فى الملاية اللف ، فتزوجها سرًا عن أبيه . ثم طلقها وتزوج غيرها من زميلاته فى العمل بعد ترك الكلية ، ثم طلقهن جميعًا كما سبق أن أخبره ، وأصبح طريد النفقة إلى أن يئسن منه موسرًا وأيقن أنه احترف العسر . ما أدهش أدهم من كل هذا هو أن زميله شعبان لا يرى فى مثل هذه الحياة ضياعًا . ربما لأن الخيال ينقصه . كما قال فى سره . لكن الأعجب هو أن أدهم نفسه يرى حياته هو طبيعية . لأنه يعتقد أنه صاحب مبدأ . صاحب نظرة خاصة . كان يرفض الحياة المبنية على الامتلاك ، الامتلاك فى رأيه هو السجن . والحر الحقيقى هو من لا يملك شيئًا . لا أرض ولا عقار ولا زوجة ولا أطفال . وعندما وضع هذه الأفكار فى الشعر لم تكن فى ذلك خطورة . لكن عندما بشر بهذه الحرية من خلال سطور مقالاته الصحفية دخل السجن . . .

واقتربا أخيرًا من باب المنزل الذى يقطنه . كان على رأس الحارة المؤدية إلى ذلك المنزل دكان طعمجى . هو الوحيد الذى فتح دكانه مبكرًا. وبدأ يقلى الطعمية فى طاسة فوق موقد ، فيسمع للقلى نشيش ، وتشم له رائحة أخذت بمجامع قلب شعبان ، فتسمرا على باب الدكان . كان لا بد لهما من الأكل . لأن هذا بالنسبة إليهما هو العشاء لا الفطور .

فهما سيصعدان للنوم طول نهارهما . وقدم البائع لكل منهما سندوتش طعمية وفول محبش بالسلطة . لكن المهم الدفع . وتظاهر شعبان بأن هذا واجب عليه . وجعل يخرج من جيوبه نقوداً لا وجود لها . قرش واحد فقط خرج بين أصابعه من أعماق البطانة . إنه ما زال يقترض من والده كلما تعطل عن العمل . ولا يسمى ذلك قرضاً . بل هو فى عرفه رد لقرض سابق لا ينتهى سداده . فهو فى آخر وظيفة له قبض مرتبه وذهب به إلى والده فى ورشته وأصر على أن يسلفه جنيهين من المرتب ، لم يكن أبوه فى حاجة إليهما . من ذلك الوقت وهو يروح من حين إلى حين يطالب أباه بالرد مع الفوايد ، حتى قبض منه أضعاف ما اقترض . وما زال يقبض ما تيسر . أى مبلغ أو أجر يفوز به . ولو أجر سيجارتين وسندوتشين . إنه لا يطالب بالكثير حتى يكون له حق الاستمرار . وأيقن أدهم أن زميله غير جاد فى الدعوة ، فأخرج فى الحال بعض ما فى جيبه ودفع . وجيبه هو أيضاً لا يحوى إلا القليل . إنه ليس عنده والد ينصب عليه . لكن لديه صديقاً صحفياً سقيم الخيال ركيك الأسلوب ، يقدم إليه من يوم إلى آخر بعض المقالات ليصوغها له بأسلوب شيق ويعطيه أجراً من الباطن . وضع — فى رأيه — يحرره من سيطرة رئيس التحرير . وتم العشاء الصباحى . طلعت الشمس . فصعدا إلى الشقة على سلم مظلم متآكل الدرج . لا يعرف هو الآخر وجود النهار . على الصاعد عليه أن تكون لقدميه عيون . وظل شعبان الغريب غير المعتاد يتعثر ويلعن وصاحبه ينهضه ، حتى بلغا باب الشقة فى آخر طابق ، وأخرج أدهم من جيبه المفتاح وفتح الباب وقال لضيفه تفضل . وتفضل شعبان ودخل فوجد نفسه فى مدخل صغير يؤدى إلى حجرتين . واستقبله بالترحاب تراب ملأ خياشيمه . وهذا بديهى . فمن ذا الذى يتولى التنظيف هنا ؟ ! ... أما المدخل فهو خال تماماً إلا من الغبار . وأما الحجرة التى تواجهه فهى فيما

يظهر بالتخمين حجرة مكتب . فهذا شيء يشبه المكتب . ربما كان من خشب عليه جوخة ربما كانت خضراء في يوم ما . وهذان كرسيان من الخيزران مثقوبان ولا يصلحان للجلوس إلا مع الرفق والحيطة والحذر . هز شعبان رأسه وقال إن هذه الحجرة يفترض فيها أن تكون مكان العمل والكتابة ، وإن كان يدهشه أن يخرج منها شعر أو نثر ! . . وفجأة ارتفع فى الشقة صوت حاد يصيح : « يا سعيد أفندى كلم سيادة المدير . . يا جرجس أفندى كلم سيادة المدير ! » ، فأجفل شعبان وارتعد وهمس : هل هذه الشقة مسكونة ؟ . . فابتسم أدهم وهدأ روعه وأخبره أن هذا صوت السكرتير الخاص . فما دام يوجد مدير عام لا بد أن يكون له سكرتير خاص . ولا بد من المدير ما دام هناك بنك . وأشار له إلى الحجرة الأخرى ، فدخلها شعبان متردداً ، فلم يجد بها غير سرير صغير من حديد قديم ، وقطعة حصير على الأرض . ومسمار فى الحائط معلق عليه جلابية وطاقية . إنها ولا شك حجرة النوم . لكن أين هذا السكرتير الخاص ؟ . . وحانت منه التفاتة إلى الشباك الوحيد فى الحجرة . شباك يطل على منور مهجور ، فإذا معلق به قفص فيه ببغاء أخضر أحمر ضخم . قال أدهم إنه وجده بالشقة التى آلت إليه بعد سفر أو هرب ساكنها السابق اليهودى . وقد تولى هو بعد ذلك تعليمه وتدريبه على أعمال السكرتارية !

. . كان السهر والتعب قد نالا منهما . وشرع شعبان يخلع ثيابه وهو ينظر إلى ناحية السرير الوحيد . فلم يسع أدهم صاحب البيت إلا أن يتزل له عنه وينام هو فوق المكتب أو فوق الكرسى . وإذا بضيفه ينظر أيضاً إلى الجلباب المعلق على المسمار فصاح به . : « لا . . حاسب ! » إن هذا الجلباب ليس على مقاسه . وسيمزقه حتماً لأنه فارع ممتلئ ، فى حين أن أدهم أقرب إلى النحافة والقصر . ولم يمهله وبادر إلى جلبابه فارتداه وإلى طاقيته فدس رأسه فيها ، وانسل إلى الحجرة الأولى وارتمى على

كرسى ومد قدميه فوق المكتب وراح فى سبات . ولم يجد شعبان بداً من البقاء فى بنطلونه فتمدد به فوق السرير . ولم يمض قليل حتى علا الشخير .

لم يتحرك أحد منهما إلا على أذان العصر من المسجد القريب . فنهض أدهم أولاً وفرك عينيه . ثم أيقظ زميله فقام وهو يحك جلده من البق ويلعن اختياره للسرير ! . . ولم يلبث النشاط أن دب فيهما ، فخف الاثنان إلى العمل . جعل شعبان يبحث فى درج المكتب عن ورق . وقعد يحرر بيده نسخاً متعددة من صيغة الإعلان . فلما انتهى وقف يعلن أن قسم الدعاية للبنك قد تم إنشاؤه بحمد الله وعونه . واصطحب أدهم ونزلا معاً إلى الشارع ولبثا يتسكعان حتى دخل الليل وأوغل ، وأغلقت الحوانيت ، فصار شعبان يمر بأكشاك السجاير ودكاكينها ويتخير منها ما يصلح ويلصق على جداره إعلاناً مما خطته يده . . إلى أن نفدت جميع النسخ . فقال إن مهمة قسم الإعلانات قد انتهت ولم يبق سوى انتظار النتيجة . . وعادا إلى الشقة ينتظران الزبائن . وعندما استقبلهما بالباب الغبار المعهود أدركا أن أول واجب عليهما هو تنظيف هذا المكان وجعله لائقاً بدخول الآدميين . ولأول مرة دخلت المكنسة الشقة . اقترضها أدهم من أحد الجيران وسلمها إلى زميله شعبان باعتبار أن النظافة تدخل فى اختصاص قسم الإدارة والدعاية والإعلان .

المنظر الثانى

(أدهم وشعبان فى الشقة ينتظران . . .)

شعبان : (فى يده المكنسة) الشقة ونظفناها . والإعلانات ولصقناها . واللافتة على الباب وركبناها ، باسم البنك ومواعيد الفتح والغلق . كل شىء أصولى ، أربعة وعشرين قيراط وفى انتظار تشريف الزباين .

أدهم : اسمع يا شعبان . . أنت متأكد أن إعلاناتك هذه يمكن أن تأتى بزباين ؟ !

شعبان : وهل فى هذا شك ؟ ! . إعلانات مبتكرة .

أدهم : مكتوبة بخط يدك ، وملصقة على أكشاك السجاير !

شعبان : أحسن مكان . لأن المدخنين عادة هم القلقون .

أدهم : إعلانات خط يد ! . .

شعبان : وماله ؟! . شغل يد . وشغل اليد دائمًا أغلى من شغل المكن .

أدهم : وخطك الذى يشبه نبش الفراخ ؟ !

شعبان : هذا أدعى إلى لفت النظر .

أدهم : أتستطيع أن تقول لى من هو هذا الزبون الذى سيذهب لشراء علبة سجاير ويلفت نظره ورقة صغيرة ملصقة بجوار الكشك عليها كتابة بخط منعكس تدعوه إلى زيارة بنك مؤسس فى درب الطبالى بشارع محمد على ؟

شعبان : حب الاستطلاع يصنع العجب .

أدهم : نحن إذن فى انتظار شخص يكون عنده حب استطلاع .

شعبان : سيأتى هذا الشخص .
أدهم : إذا تصادف وقرأ إعلانك !
شعبان : سيقرؤه إن شاء الله .
أدهم : أنت متفائل .
شعبان : دائما .
أدهم : أنت بالطبع عارف شغلك .
شعبان : مؤكد . أنا الصراف وأنت المدير .
أدهم : الصراف ؟ . .
شعبان : طبعاً ، لأن الخزينة تتبع قسم الإدارة والإعلان . فأنا إذن المشرف على الخزينة . يعنى الصراف .
أدهم : وهو كذلك . بس خذ بالك لئلا يدخل زبون ويجد فى يد الصراف مكنسة ! . إنها علامة غير مستحبة .
الببغاء : (تصيح فى الخارج) يا سعيد أفندى كلم سيادة المدير . . ياجرجس أفندى كلم سيادة المدير . .
شعبان : السكرتير الخاص ينبه الموظفين ! . . آه لو عرف الزباين أن سكرتيرك الخاص هذا ليس إلا ببغاء فى قفص !
أدهم : على فكرة . . التى نظرة من عندك . . هل عنده أكل ؟
شعبان : وما هو أكله ؟ . .
أدهم : قشر خيار . . قشر قرع . . أى قشر . .
شعبان : ومن أين لك هذا الخيار والقرع ؟ . .
أدهم : صفيحة الزبالة عند الجيران عامرة دائماً ولله الحمد ! . .
شعبان : (يلقى نظرة فى الحجرة الأخرى) عنده أكله . . سكرتير قانع متواضع ! . . إنه هو حقاً الذى لا يعرف القلق !

(طرق على الباب . .)

أدهم : الباب . . زبون . . ارم المكنسة حالاً وافتح ! . .

شعبان : (يفتح باب الشقة مرحباً) تفضل . . تفضل . . أهلاً وسهلاً . . شرفت !

الزائر : (فى المدخل) من أنت ؟ . .

شعبان : (فى المدخل) أنا صراف الخزينة .

الزائر : خزينة ؟ . .

شعبان : تفضل . . تفضل جوه عند المدير .

أدهم : (ينهض لاستقباله) تفضل هنا ! . .

الزائر : (لأدهم) الحمد لله لقيتك .

أدهم : (مأخوذاً) هو أنت ؟ !

الزائر : أنا يا سيدى . . نسيتنى . . نسيت شكلى ؟

أدهم : لا أبداً . أنت دائماً فى الذاكرة . . تفضل اقعد خذ راحتك !

الزائر : لا متشكر . أنا مستعجل . أنت عارف طبعاً سبب حضورى .

أدهم : الأشواق طبعاً . والقلوب عند بعضها .

الزائر : القلوب عند بعضها صحيح والأشواق إليك صحيح . وإلى أجرة الشقة كذلك .

أدهم : أجرة الشقة ؟

الزائر : أنا متأسف أذكرك .

أدهم : هذا حقك . المطلوب كم بالضبط ؟

الزائر : أربعة أشهر متأخرة .

أدهم : وتتأخر أربعة أشهر ؟

الزائر : أنا لم أتأخر . أنت الذى تأخرت .

أدهم : وعندما تأخرت أنا أين كنت أنت ؟
الزائر : كنت أحضر فأجد الباب مغلقاً ، وأدق فلا أجد من يجيب!
أدهم : غريبة ! . . لا بد أنك كنت تحضر فى غير المواعيد .
الزائر : وما هى المواعيد ؟
أدهم : مكتوبة عندك على اللوحة المعلقة بالباب .
الزائر : لم أقرأ لوحة .
أدهم : هذه ليست غلطتنا . المفروض أن اللوحة موضوعة لتقرأ . والحضور يكون طبقاً للمواعيد المحددة على اللوحة . هذه هى أصول البنوك .
الزائر : البنوك ؟ !
أدهم : طبعاً . هنا بنك. واللوحة على الباب مكتوب عليها اسم البنك .
الزائر : هنا بنك ؟ !
شعبان : وله مواعيد فتح وغلق ولا بد من طلب النقود فى مواعيد فتح الخزينة . لا قبل ذلك ولا بعد ذلك . خمس دقائق زائدة أو خمس دقائق ناقصة تمنع من الصرف . هذه هى الأصول المعمول بها فى كافة البنوك . هل تستطيع سيادتك أن تذهب إلى البنك الأهلى بعد الساعة الثانية عشرة والنصف بدقيقة واحدة وتطلب نقوداً ؟
الزائر : وهل عندكم نقود ؟
أدهم : طبعاً . إذا حضرت فى الوقت المناسب .
الزائر : ومتى الوقت المناسب ؟
أدهم : عندما يكون عندنا نقود .
الزائر : ومتى يكون عندكم نقود ؟

أدهم : عندما يأتى الوقت المناسب .
الزائر : بالاختصار أنا أمام جماعة مماطلين مفلسين !
شعبان : من فضلك . . لا تقل مفلسين . . هنا بنك مثل كل بنك . كل بنك فى الدنيا خزينته تفرغ فى ساعة ، وتمتلئ فى ساعة . . حركة صادر و وارد . . وأنت مع الأسف تأتى فى ساعة الصادر .
الزائر : وما قولكم فى أن صبرى نفد . وأنى سأشرع فوراً فى اتخاذ إجراءاتى ضد هذه المماطلات . وألقى بكم فى الشارع أنتم وكراكيبكم هذه كلها . .
أدهم : وما قولك أنت فى قبولك شريكاً معنا فى عمليات البنك ؟
الزائر : شريك ؟ !
أدهم : بحق الثلث . وبذلك تشرف على جمع الإيرادات ، وتأخذ نصيبك علاوة على أجر الشقة والمتأخرات .
الزائر : وهل يدخل لكم إيرادات ؟
شعبان : طبعاً . . هذا بديهى . ألم تقرأ اللوحة ؟ . . هنا بنك يجرى عمليات مهمة جداً .
الزائر : وما هى هذه العمليات ؟
شعبان : نحن نتعامل فى القلق . . هذا هو الصنف الذى نتعامل فيه .
الزائر : الصنف ؟ !
أدهم : لا . . لا تفهم خطأ . . أعمالنا كلها مشروعة . وفى حدود القانون والشرف . نحن هنا نعالج الناس من قلقهم ويدفعون لنا أجر العلاج ، ويعالجوننا من قلقنا وندفع لهم أجرهم .
شعبان : والفرق دائماً فى مصلحتنا .

الزائر : وهل هذا عمل رائج ؟

أدهم : جداً . لأن القلق منتشر . كل شخص عنده ناحية قلق من شيء . أنت مثلا أليس عندك قلق ؟

الزائر : طبعاً .

أدهم : إذن نعالجك وتدفع لنا أجرنا ، أويخصم من الإيجار . قل لنا من أى شيء أنت قلق ؟

الزائر : من عدم دفعكم الإيجار . هذا هو سبب قلقى . وإذا أنتم سددتم ما عليكم أشفى حالاً .

أدهم : كلام جميل . نحن على استعداد .

الزائر : على استعداد للتسديد ؟

أدهم : طبعاً ما دام هذا هو علاجك ، لكن عليك أنت أيضاً أن تعالجنا من مرضنا ؟ . .

الزائر : وما هو مرضكم ؟

أدهم : مرضنا هو مطالبتك لنا بالإيجار . وإذا أنت لم تطالب نشفى فى الحال .

الزائر : ما هذا الكلام ؟

أدهم : نترجم هذا الكلام إلى أرقام وأنت تفهم الحسبة بوضوح . إذا عالجناك وشفيت تدفع لنا أجرنا . كلام مفهوم ؟

الزائر : وكم أجركم ؟

أدهم : خمسة جنيهات .

الزائر : خمسة جنيهات ؟ هذا إيجار شهرين !

أدهم : أنت أيضاً ستقبض نفس هذا الأجر منا فى حالة علاجنا .

الزائر : معنى هذا أنكم تدفعون لى الآن خمسة جنيهات بدلاً من عشرة .

أدهم : تمام . مطلوبك كله عشرة يخصم منه خمسة أتعاب علاج يتبقى لك خمسة .
الزائر : وهو كذلك . ادفعوا لى الخمسة .
أدهم : سندفع لك . هذه حسابات مضبوطة . لكن . .
الزائر : لكن ماذا ؟ . .
أدهم : فكرة دفع هذه الخمسة أعاد مرضنا مرة أخرى واحتجنا للعلاج . نفس العلاج .
الزائر : معنى ذلك ؟ . .
أدهم : معنى ذلك أن علاجنا هو فى عدم مطالبتك بالخمسة جنيهات الباقية من مطلوبات الشقة .
الزائر : الخمسة جنيهات الباقية ؟
أدهم : لا تنس أنك ستقبض نظير ذلك أتعابك وهى خمسة جنيهات . وعندئذ تكون أنت قد شفيت فنستحق عليك أتعابنا خمسة جنيهات .
الزائر : الحاصل من كل هذا أنى لن أقبض شيئاً .
أدهم : طبعاً . عملية مقاصة .
الزائر : مقاصة ؟ . .
شعبان : عملية معروفة فى كل البنوك . رصيدك الدائن خمسة جنيهات والمدين خمسة جنيهات . . أى لا لك ولا عليك .
الزائر : شىء جميل جداً .
أدهم : إن شاء الله فى العمليات القادمة باعتبارك شريكاً بحق الثلث سيكون لك رصيد دائن محترم . قل إن شاء الله ! .
الزائر : آه يا لصوص . . يانصابين . . يا حرامية !

شعبان : احفظ لسانك من فضلك هنا بنك محترم .
الزائر : وأنت من حشرك أنت ؟ من أنت ؟
شعبان : قلت لك صراف الخزينة . !
الزائر : تشرفنا !
أدهم : أنت نظرتك فينا غلط . تأكد أننا ناس شرفاء . وأن الأمانة والذمة رائدنا فى العمل . لكن اصبر علينا . صبرك علينا . . أسبوع واحد . . وأنت ترى النتيجة سارة جداً . . نحن فى أول عهدنا . . تفاءل . . تفاءل . . وارجع لنا بعد أسبوع وأنت تقبض جميع متأخراتك . .
الزائر : أنا راجع ومعى حكم بالطرد !
(يخرج سريعاً)
شعبان : رح داهية تغمك ! . .
أدهم : ما الذى جاء به اليوم . . هذه فاتحة لا تبشر بخير .
شعبان : تفاءل . . تفاءل . .
أدهم : أنا متفائل . لكن مجىء هذا الرجل الآن عكر مزاجنا .
شعبان : انتظر حتى يجىء قراء الإعلانات . عندئذ ينشرح صدرنا .
أدهم : نحن فى الانتظار .
شعبان : على الأقل سيحضر من يطمع فينا . . ويدعى علاجنا ليقبض منا . . النصابين فى البلد كثير !
(طرق على الباب)
أدهم : الباب ! . . أسرع ! . .
شعبان : (يذهب ويفتح) تفضل . . أهلاً وسهلاً . .
أدهم : (ينظر إلى الزائر الداخل) متولى ؟ !
متولى : طبعاً . ومن غيرى ؟

أدهم : قرأت الإعلان ؟
متولى : أى إعلان ؟ !
أدهم : وما الذى جاء بك الساعة ؟
متولى : جئت لك بشغل . . . كالعادة .
أدهم : آه ! . . شغل .
متولى : موضوع مهم . . اسمع . . (يلتفت جهة شعبان) حضرته ؟
أدهم : الأستاذ شعبان جاد . . زميل قديم فى الدراسة . والأستاذ متولى سعد زميل فى الصحافة . .
(شعبان ومتولى يتصافحان)
متولى : والأستاذ شعبان صحفى ؟
شعبان : لا . أنا . .
أدهم : هو أحد مؤسسى البنك .
متولى : أى بنك ؟
أدهم : ألا تعرف أننا أسسنا بنكًا ؟ . . ألم تقرأ الإعلانات ؟ طبعًا لم تقرأها .
شعبان : واللوحة التى على الباب ؟
متولى : هل على الباب لوحة ؟
شعبان : لوحة كبيرة بالخط الكبير الفارسى .
أدهم : بنك القلق .
متولى : بنك ماذا ؟
أدهم : القلق . : القلق . . ألا تعرف القلق ؟ . . تسعون فى المائة من سكان العالم مصابون بالقلق .
متولى : جايز . لكن . . ما دخلكم أنتم فى هذا ؟
أدهم : لو كنت قرأت الإعلانات كنت عرفت .

متولى : قلت لك لم أقرأ إعلانات أين هى هذه الإعلانات ؟
شعبان : تملأ الشوارع .
أدهم : ألم تمر بأكشاك سجاير ؟
متولى : طبعاً . منذ قليل . . واشتريت علبة .
أدهم : علبة ؟ . . إذن بالمناسبة . . لا بأس من أن تعزم علينا بسيجارة .
متولى : بكل سرور . تفضل .
أدهم : (يتناول سيجارة) شكراً . . . تفضل يا شعبان !
شعبان : (يمد يده هو الآخر ويتناول سيجارة) مع الشكر .
أدهم : ندخل فى الموضوع . من أين اشتريت هذه العلبة ؟
متولى : من كشك فى ميدان طلعت .
شعبان : ملصق هناك أكثر من إعلان .
متولى : لم يستلفت نظرى شىء .
شعبان : غريبة ! . .
أدهم : ربما كنت شارد الفكر .
متولى : أنا لا يشرد فكرى أبداً . . أنا لست مثلك . . المهم . .
أدهم : المهم لا بد أن نخبرك باختصاص هذا البنك . . يا شعبان سلمه نسخة إعلان ؟
شعبان : هنا عندك فى درج المكتب المسودة .
أدهم : (يفتح درج المكتب ويخرج ورقة يناولها لمتولى) خذ . . ها هى نسخة . . تفضل اقرأ . .
متولى : (يقرأ بعينيه سريعاً) ما هذا الكلام . . الفارغ ؟ . .
أدهم : فارغ ؟ ! . .
متولى : (يلقى إليه بالورقة) رجل مثقف مثلك لا يخلو من موهبة ، يضيع وقته فى مثل هذه الألعاب الصبيانية !

أدهم : صبيانية ؟! . .

متولى : اسمع يا أدهم . . أنا نصحتك أكثر من مرة . . قلت لك أنت خسارة . . خسارة فى هذا الضياع . . عندنا فى الجريدة زملاء وأنت عارفهم . . أقل منك مواهب ووصلوا . .

أدهم : وصلوا إلى أين ؟

متولى : إلى الاستقرار فى الحياة على الأقل . . إلى ا' افظة على مراكزهم . . كنت أنت أيضاً تستطيع ذلك . . لم تكن أقل منهم مركزاً فى الجريدة . . لو كان عندك فقط قليل من المواظبة والجدية وتحمل المسئولية ؟

أدهم : الله أنت جئت الآن تلومنى وتعاتبنى ؟ . . قلت لك ألف مرة هذا طبع . . مزاج . . أنا هكذا . . ولا يمكن أن أكون شيئاً آخر .

متولى : أنت حر . المهم أنا جئت لك بشغل .

أدهم : أنا الآن مشغول . . أمامى تأسيس بنك .

متولى : أرجوك يا أدهم يا صديقى . . فكر فى شىء مفيد .

أدهم : وهل هذا البنك ليس بالشىء المفيد ؟! . . إن فائدته سوف تعم المجتمع كله . وغداً تعرف وتشهد أنها فكرة عبقرية .

متولى : أنا معترف لك بالعبقرية . . لكن فكرتك هذه ولا تؤاخذنى تافهة !

أدهم : الأفكار التافهة هى التى غيرت وجه الأرض . قطار السكة الحديد من أين خرج ؟ . . خرج من دخان تافه من إبريق شاى . . نظرية الجاذبية من أين هبطت ؟ من تفاحة تافهة سقطت من شجرة . . البنسلين من أين ظهر ؟ من قطعة خبز تافهة معفنة . . وهلم جراً . . وهلم جراً .

متولى : ليس الأمر بكل هذه البساطة . . ومع ذلك لا أرى أن فكرتك هذه يمكن أن يخرج منها شىء على الإطلاق ، غير كونها مجرد مداعبات وألاعيب مما اعتدت أن تضيع فيه وقتك .

أدهم : من أدراك أنه لن يخرج منها شىء . . أنت لم تفهم جوهر النظرية .

متولى : أى نظرية ؟ مكتوب فى هذه الورقة أنكم تعالجون القلق . . . هل أنتم أطباء ؟ .

أدهم : نحن أطباء ومرضى فى نفس الوقت .

شعبان : نحن نقرض ونقترض مثل البنك .

متولى : اسمحوا لى . . أنتم بالكم رايق . . تهزاون والدنيا من حولكم تجد . . اسمع يا أدهم . . أنا جئت لك بشغل ونقود .

شعبان : نقود ؟

أدهم : أين هى ؟ . .

متولى : موجودة فى جيبى . . والموضوع كتبته لك باختصار فى صفحتين . لكنه يحتاج من قلمك إلى إعادة صياغته بأسلوبك الرشيق إياه ، وعباراتك وتعبيراتك إياها ، على شرط أن لا تشط وتشطح . . كن دائمًا على أرض الواقع وفى حدود الوقائع . . خذ . . هذا تحقيق صحفى عن الاتحاد الاشتراكى فى كفر عنبة .

أدهم : كفر عنبة ؟ . .

متولى : نعم . بلدك . . طبعًا أنت أدرى بها .

أدهم : أنت عارف أنا لم أضع قدمى فيها منذ الطفولة . .

متولى : لا يهم . أنا دونت لك كل الحقائق التى شاهدتها بنفسى على

الطبيعة . وما عليك إلا أن تنفش الصفحتين فى أربع أو خمس صفحات بطريقتك اللامعة المتألقة ، لأنها ستنزل على ثلاثة أعمدة .

أدهم : لا أذكر الآن من قريتى هذه إلا سراية عادل بك عاطف . هل هى لا تزال موجودة ؟

متولى : موجودة طبعاً . لكنها أصبحت مقراً للإصلاح الزراعى .

أدهم : وأين ذهب البك الكبير ؟

متولى : لا أعلم . يظهر أنه توفى .

أدهم : وبنته الصغيرة المدللة مرفت . . التى كانت تمتطى حصانه ويسندها الخدم والحشم ؟ . . لا بد أنها اليوم فى الثلاثين . . . كانت أصغر منى بست سنوات . .

متولى : لا أعرف عنها شيئاً . . لكنى أعرف عمها منير بك عاطف . بيته فى الزمالك . . ما زال له نشاطه فى القرية . . أراد أن يكون عضواً فى الاتحاد الاشتراكى . . كثير الاتصالات ومتداخل . . نفعنى فى هذا الربورتاج وزودنى بمعلومات قيمة . .

أدهم : وزوج أختى ؟ . . بلغنى أنهم ملكوه خمسة أفدنة . .

متولى : جايز . . لقد وزعوا أراضى كثيرة على الفلاحين .

أدهم : الحمد لله أنى لا أحب امتلاك شىء .

متولى : أنت حر فى نظرياتك . المهم كن فى حدود المعلومات والوقائع التى دونتها لك لا تسرح ولا تتفلسف . . استلم . . (يسلمه الصفحتين) وسلمنى الشغل غداً . . وخذ هذا الجنيه . . دفعة أولى . .

أدهم : (يقبض منه) هات ! . .

متولى : غداً . . تذكر جيداً . . لأنى يجب أن أسلم الموضوع للجمع غداً . .

أدهم : اطمئن . سأسلمك الشغل غداً فى الميعاد . . على شرط . .

متولى : ما هو ؟ . .

أدهم : طلب بسيط . . انشر لنا خبر البنك فى الجريدة . . مجرد خبر صغير .

متولى : أنت مجنون يا أدهم !

أدهم : كما تنشرون إعلانات عن البنك الأهلى !

متولى : أيوجد مجال للمقارنة ؟ !

أدهم : كلها بنوك يا أخى . . لماذا التفرقة ؟ . .

متولى : تتكلم بجد ؟

أدهم : وهل ترى على وجهى المزاح ؟

متولى : اسمع يا أدهم . . ممكن نشر خبر عنكم . . لكن على سبيل التندر والنكتة والتفكه والتريقة .

شعبان : ليس عندنا مانع . المهم الإعلان عن وجودنا بأى طريقة !

أدهم : لا . . لا . . لا . . بأى طريقة لا . . أنا لا أقبل أبداً تشويه فكرتنا وإضحاك الناس علينا .

شعبان : نتساهل قليلاً . . لنمشى الشغل .

أدهم : ممكن يا متولى إذا أردت . . أن تقول مثلاً إنها فكرة غريبة طريفة غير مألوفة . . هدفها كيت وكيت بكل أمانة وموضوعية .

متولى : سأفكر فى الأمر . . والآن أنا مضطر أترككم . . عندى ميعاد فى الجريدة . . أكرر رجائى يا أدهم . . غداً بدون

تأخير أستلم منك الموضوع . . إلى اللقاء !

(يسلم عليهما ويخرج)

شعبان : (ينظر إلى النقود) جنيه ! . . يعنى مائة قرش صاغ ! . يعنى ما يساوى كم سيجارة وكم قطعة سندوتش فول وطعمية مع التحابيش والسلطات ! . . هذه ثروة هبطت من السما . . ومع ذلك يقول إنها دفعة أولى . . وعندما تسلمه الشغل غداً يسلمك دفعة ثانية ! . . شيء جميل ! . . قلمك هذا يؤكلك الشهد يا أخى . . ما لنا وما للبنك وشغل البنوك ؟ اصرف نظرك يا أخى عن حكاية البنك ، وكان الله يحب المحسنين . .

أدهم : اخص يا مذبذب ! . . أنت مزعزع العقيدة سقيم الوجدان .

شعبان : يعنى أنت مصمم على مسألة البنك ؟ !

أدهم : إلى النهاية

شعبان : وأنا معك إلى النهاية . هات يدك !

(ويمسك بيده ويرفعها فى يده إلى أعلى علامة التضامن ... ...)

الفصل الثالث

ثلاثة أيام مرت دون أن يطرق أحد باب الشقة . ولم يشعر الزميلان بمتاعب الحياة . فعندهما زاد من السجاير والطعام . إذ بعد أن فرغ أدهم من صياغة المقال المطلوب ، واجتهد فى أن ينفشه حتى بلغ ست صفحات ، استطاع أن يحصل نظيره على جنيه ونصف علاوة على الجنيه الذى كان قد تقاضاه دفعة أولى . وفوق ذلك أيضاً خطف من يد الصحفى متولى سعد علبة سجاير بلمونت كاملة العدد . لكن . . ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان . إن الإنسان قاطرة ، تملؤها فحماً تعطيك دخاناً . هذا بالطبع عند إنسان مثل أدهم . وقد تطاير بالفعل من رأسه دخان كثير . وأخذ أنفاساً متلاحقة من سيجارته وجعل يفكر . . أهو حقاً يضيع حياته ؟ . . كما قال له متولى ؟ . أهو يلعب بها ؟ . إنه حقاً يحب دائماً أن يلعب بشىء . منذ أن كان طفلاً فى قريته يلعب بالطين ويشكله عصفوراً . ربما كان يلعب بحياته . لكنه لم يشكلها بعد . أما الضياع فلم يحسه قط . حتى عندما سار خلف الغازية الغجرية من قرية إلى قرية لم يشعر أنه طفل ضال . ولم يستشعر الوحشة . ولم يجد فى نفسه الرغبة فى العودة إلى أهله . لأنه من فصيلة طير النورس ، يحوم على سطح البحر ويغوص أحيانا بين الموج ولا يغرق أبداً . ولأنه لا يعرف الغرق فهو يعرف القلق . وقلقه من نوع مختلف عن قلق الآخرين . كل ما يخشاه هو أن يرغم على قبول شكل فى الحياة يسجنه . لقد أراد أن يلعب بالحياة لعباً حراً . وهذا ما أعماه عن رؤية المأساة فيما يفعل . إن ما يفعله بحياته لم يضعه حتى فى قصيدة من الشعر الحر . كتب بالفعل

عدة قصائد ومزقها . فالكلمات فى نظره أصبحت مثل نمال تركب فوقها أفيال . كل شيء ضخم إلى أن يحاول صبه فى شكل . فليكن هو نفسه القصيدة . وليتركها متحررة من القوالب . كوب ماء بغير كوب . .

حتى عندما حامت حوله الظنون وأدخل المعتقل ، ورأى الطوائف المختلفة هناك ترحب به طامعة فى ضمه إلى صفوفها ، محاولة صب أفكاره فى فلسفتها ، رفض هذه الفلسفات المتينة التركيب ، حتى حسبوه مدسوساً أو جاسوساً . ثم انتهوا إلى اعتباره مجرد حطام متحلل لا يرجى منه شيء . . ابتسم لتذكره ملامحهم وهو يقول لهم إن الشيوعية الحقيقة بدأت عند الرجل الأول وهو فى الجنة ، وإن ماركس لا بد كان فى وعيه الخفى جنة آدم كما ذكرت فى الأديان . تلك الجنة التى يسكنها آدم مع حواء . إنها فى عرف المسيحيين كانت على هذه الأرض نفسها . وكذلك فى عرف بعض المفسرين من المسلمين الذين قالوا إنها كانت دار « ابتلاء وليست هى جنة الخلد التى جعلها الله دار جزاء » . وإنها كانت فى بقعة مرتفعة من الأرض ذات أشجار وثمار وظلال ونضرة ونعيم . . ما هو إذن النظام الذى كان سائداً على هذه الجنة الأرضية ؟ إنه كان ولا شك النظام الشيوعى فى آخر مراحله . فإن آدم وحواء ما كانا يعرفان الملكية . كل منهما كان يأخذ ما شاء على قدر حاجته لا على قدر عمله . لأنه لم يكن هناك عمل ، إلا اقتباس المعرفة من النور العلوى والاستمتاع بالجمال السرمدى ، ما الذى حدث إذن لهذا النظام ؟ . .

حدث أن آدم وحواء أخرجا من هذه الجنة إلى جهة أخرى مجدبة فيها عمل وعناء . وهناك أنجبا أولاداً أخذوا يملكون . هذا زارع يملك قطعة أرض . والآخر راعى غنم . عرفوا الملكية فعرفوا النزاع والتنافس . وحدث القتل . أول جريمة فى تاريخ البشر . والعجيب أن القاتل فيها كان هو قابيل المالك العقارى ! منذ ذلك العهد وكل ما يحرك ذهن البشرية

حتى اليوم هو ذكرى تلك الجنة والعودة إليها . . تلك الجنة التى يأخذ فيها كل على قدر حاجته . . الإنسانية كلها تحاول شق طريق إليها . إما عن طريق مرصوف بالمذاهب العلمية . وإما عن طريق مفروش بالعقائد الدينية . . كان أدهم يقول مثل هذا الكلام لزملائه فى المعتقل فيسخرون منه ، برفق حيناً وبعنف حيناً . فهو مخرف فى عرف هؤلاء ، ومجدف فى عرف أولئك . وهم جميعاً يمدون الأكف ليقبضوا على تلك الفراشة الهائمة فوق رؤوسهم كى تقع فى هذه المنطقة أو تلك . وهو يصيح فيهم : دعونى ! لا أريد أن أكون مالكاً ولا مملوكاً . . لا أريد أن أملك ولا أحدكم يملكنى . .

وأخرج أدهم سيجارة أخرى من العلبة الموضوعة فوق المكتب . لم يبق فيها غير سيجارتين . وأشعلها ونفث الدخان . وألقى نظرة شاردة على صاحبه شعبان ، فوجده مشغولاً بعمل لم يخطر على باله . رآه قد قلب مرتبة السرير وأخذ يلتقط من أركانها البق ويحمله بين أصابعه ويلقى به فى المرحاض . تأمله قليلاً وقال فى نفسه : أى نوع من الناس شعبان هذا ؟ لا يمكن أن يكون هو أيضاً قد قصد أن يلعب بحياته لعباً حراً . إنه مجرد هارب من سجن . من نفقة مطلقاته . لكن إذا سنحت له فرصة صب حياته فى أى قالب فإنه لن يتأخر . ولعله أخذ فكرة البنك ، بنك القلق ، هذا المأخذ . لكن فكرة هذا البنك هل هى شيء آخر غير مجرد لعبة من الألعاب ، كما قال متولى ؟ هل يظن أدهم حقاً أنه مشروع جدى ؟ إنه ما اعتاد أن يسأل نفسه سؤالاً كهذا . لأن الجد والهزل عنده حتى اليوم لفظان غير موجودين . أو هما سيان ولا داعى عنده لفصلهما . يكفى عنده دائماً أن تشتعل فى رأسه فكرة . ما من أسئلة من هذا القبيل تقوم فى ذهن طفل يلعب بالطين ويصنع منه تماثيل. إنه لا يزال يذكر رجلاً آخر رآه يوماً فى قريته . ربما ظل دائماً طفلاً هو

الآخر . كان هو الوحيد فى القرية الذى أدار ظهره لحركتها الدائبة ، وانفلت من المحاريث السائرة والنوارج الدائرة والسواقى الناعرة، وذهب إلى شط الترعة يقطع سيقان البوص ويصنع منها مزامير . ملأ عبه منها وجعل يتنقل بها بين القرى والعزب والكفور . ما كان يهمه أن يبيعها بقدر ما كان يهمه أن يزمر بها . واللعنات تلحقه من أهالى الناحية . ما الذى جرى لعقل هذا الرجل ؟ وماذا يصنع بحياته ؟ وأى مستقبل ينتظره ؟ كل الناس يلقون هذه الأسئلة عنه ، وهو لا يلقيها على نفسه . .

أخذ الوقت يمر بطيئاً ثقيلاً على أدهم لأنه وقت انتظار . انتظار زبون وهمى لا يدرى هل يأتى أو لن يأتى . وهو الذى كان دائماً فى نجوة من هذه البلية . لأنه لم يكن ينتظر شيئاً . لقد خلق الآن بيديه نوعاً من القلق لم يكن عنده . ولمح شعبان ينظر إلى الباب بين حين وحين نظرات ترقب غريزية ، فأيقن أنه هو أيضاً قد أصبح فريسة هذا الداء. ورأى أن يهوّن عنه وعن نفسه وأن يشغله بشيء . فسأله عن نسائه . ولماذا لم يستبق منهن واحدة . فزفر زفرة ضيق وقال إن المرأة الواحدة سجن وأربع نساء حديقة مغلقة عالية الأسوار ومائة امرأة حرية . لكنها حرية باهظة التكاليف لا يقدر عليها إلا الملوك والسلاطين . أما حرية الصعاليك فلا امرأة على الإطلاق ، وعند ذلك يستوى الصعلوك والسلطان . لم يكن رأى شعبان يصدر عن مبدأ . إنما عن ضرورة . فهو لو استطاع لعاش كالملك سليمان ، له ألف زوجة . إنه على عكس أدهم الذى لا يتصور المرأة إلا مقترنة بالحب . والحب عنده تلاحم روحى وجسدى فى وقت واحد . والعدد اثنان فى رأيه هو العدد الوحيد الذى يمثل الحب . ومن هنا جاءت قوة الحب وقسوته . ولهذا كان أدهم يخشاه ويفر منه . فراره من قضبان ليمان . ومع ذلك فهو يعرف أن فى تركيبه الطبيعى جهازاً خفياً ينبهه عند الخطر . والخطر عنده ليس فى أن يحب هو امرأة ، ولكن فى

أن تحبه هى . وقد أحب ذات يوم زميلة صحفية فأحس أنه انقلب فراشة . وعندما أحبته هى حنطته فى كتابها . فانفلت الحب فيه إلى دقيق. . كان شعبان يصغى إلى هذا الكلام ولا يعجبه ولا يفهمه . لأن الحب عنده ليس بهذه الخطورة ولا بهذا التعقيد . إلا عند انقلابه إلى مطاردة فى سبيل النفقة . وفرغ من جمع البق فى المرتبة على قدر المستطاع وغسل يديه . وعاد فسحب سيجارة من العلبة . وجلس ومد قدميه فى استرخاء ، كمن فرغ من مهمة عظيمة . ونفث الدخان ببطء . وترك جفنيه ينطبقان كما لو أنه استسلم للنعاس . ولم يشأ أدهم إزعاجه ، وحاول هو أيضاً أن يفعل مثله . لكنه لم يستطع . فقد تتابعت فى رأسه صور وأفكار مختلطة . هذا الشريط السينمائى الذى يعرض أحياناً فى الذهن بغير ترتيب ، مرة مقلوباً ومرة مشوشاً ومرة باهتاً ومرة ساطعاً . . يعرض بلا مقدمة ولا خاتمة ولا يعرف له رأس من قدم . .

المنظر الثالث

(أدهم وشعبان فى صمت طويل)

أدهم : (فجأة لزميله) نمت ؟

شعبان : (يفتح عينيه) لا . أبداً . . أنا قاعد أفكر . .

أدهم : تفكر ؟ . . فى أى شىء تفكر ؟

شعبان : فى الإعلان .

أدهم : إعلانك يظهر أنه خاب خيبة ثقيلة !

شعبان : لا يمكن . . الحسبة بسيطة . . تعال نحسبها . . وضعنا عشرة إعلانات على الأكشاك والدكاكين . فى أهم مركز . .

اجمع عدد المارة أمام الأكشاك والدكاكين العشرة . . فى الأيام الثلاثة الماضية . . وعدد المشترين للسجاير . . واستخرج المتوسط . . طبعاً للدقة اطرح من الحاصل عدد العميان والعور وضعاف البصر واللاهين والسارحين والمخمورين والمغفلين والأميين وغيرهم ممن لا يقرءون الإعلانات، كم يتبقى لنا بعد ذلك ممن قرءوا إعلاناتنا . . كم ؟

أدهم : قل أنت !

شعبان : ألا يمكن أن يطلعوا خمسين شخصاً ؟

أدهم : قل عشرين .

شعبان : عشرين . أنا معك . عشرين شخصاً . . أين هم ؟ !

أدهم : لاحظ أن من بين هؤلاء العشرين عدداً . . ربما كان أغلبية . . سيقرأ إعلانك ويهز رأسه بغير اهتمام أو بغير اقتناع بجدية الموضوع .

شعبان : أنا معك . كم تقدر هذه الأغلبية غير المهتمة وغير المقتنعة ؟

أدهم : قل مثلاً خمسة عشر شخصاً .

شعبان : من عشرين يتبقى خمسة . . أين هم ؟

أدهم : لا تنس أن من بينهم أيضاً عدداً لم يستطع فك خطك الذى يشبه نبش الفراخ .

شعبان : ماشى كلامك . . هذا العدد الجاهل الحمار الذى لا يقرأ خطى كم تقدره ؟

أدهم : لا . . . من هذه الجهة لا أقل من تسعة وتسعين فى المائة !

شعبان : أنا معك . . يتبقى واحد فى المائة . . أين هو ؟

(طرق على الباب . . .)

أدهم : ها هو !

شعبان : (يقفز ناهضاً ويتجه إلى الباب وهو يصلح ثيابه) يا رزاق يا كريم !

أدهم : (ينهض هو الآخر ويصلح من شأنه لاستقبال القادم) ...

شعبان : (يظهر وهو يقود رجلا وجيه الهندام فى الخامسة والخمسين) أهلاً وسهلاً . . تفضل . . حصل لنا الشرف .

أدهم : (يسرع بتقديم مقعد إليه) تفضل سيادتك هنا .

الوجيه : (يجلس وهو يتنفس بمجهود) أف . . آه . . سلمكم متعب جداً ! . .

شعبان : أى نعم السلم هنا صعب . . لكن على كل حال وصلت بالسلامة !

الوجيه : الحمد لله !

أدهم : سيادتك طبعاً . . . حضرت بناء على الإعلان ؟

الوجيه : أى إعلان ؟

شعبان : الإعلانات الملصقة فى الشوارع .

الوجيه : أتوجد إعلانات ملصقة فى الشوارع ؟

أدهم : يقصد على أكشاك السجاير . . حضرتك تدخن ؟

الوجيه : (يخرج علبه أنيقة ويقدم إلى أدهم) تفضل !

أدهم : (يتناول سيجارة) شكراً .

الوجيه : (يقدم العلبة إلى شعبان) تفضل !

شعبان : (يتناول سيجارة) مع الشكر .

أدهم : (يبحث ببصره) علبة الكبريت كانت هنا . .

الوجيه : (يخرج ولاعته الثمينة) لا . . لا داعى . . معى ولاعتى . . (يشعل سيجارته ثم يقدم الولاعة لكل منهما)

شعبان : لا بد أن حضرتك لم تمر بنفسك أمام كشك أو دكان سجاير . .

الوجيه : بالعكس . أنا مررت البارحة واليوم أمام دكان سجاير بميدان طلعت . . واشتريت . .

شعبان : تمام . هناك تجد إعلاناتنا ملصقة . .

الوجيه : لا تؤاخذونى ! . . . أنا لم أقرأ لكم إعلانات بالمرة ، ولم يخاطبنى أحد فى شأن إعلاناتكم .

أدهم : وكيف إذن جئت هنا سيادتك ؟ من دلك على عنواننا ؟

الوجيه : الأستاذ متولى سعد . . الصحفى . . لكم به معرفة بالطبع ؟

أدهم : طبعاً . . زميلى . . .

الوجيه : هو الذى حدثنى عنكم وعن مشروعكم .

أدهم : بنك القلق ؟

الوجيه : بالضبط .

شعبان : عمل له إذن الدعاية والإعلان . . .

أدهم : قام بالواجب صحيح .

الوجيه : الحقيقة أن الفكرة أعجبتنى .

أدهم : هذا شىء يسعدنا .

الوجيه : الواقع أن القلق سائد بشكل وبائى ، عند كل الناس ، وفكرة إنشاء بنك للقلق فكرة مدهشة ، أهنئكم !

أدهم : سيادتك طبعاً مصاب بالقلق .

الوجيه : طبعاً مثل كل الناس .

أدهم : اطمئن . جئت لنا فى الوقت المناسب .

شعبان : الحق . هذا من حسن الطالع أن يكون رجل وجيه محترم مثل حضرتك هو فاتحة أعمالنا .

الوجيه : أنا إذن أول من حضر لكم ؟
شعبان : حصل لنا الشرف .
أدهم : الافتتاح على كل حال كان اليوم .
الوجيه : وأنا يسرني أن أفتتح عملكم .
أدهم : أحب أطمئن سيادتك أن أسرار الزبائن عندنا فى الحفظ والصون . لن نخوض فى الخصوصيات ولا الشخصيات . كل ما يهمنا هو معرفة نوع القلق بصورة عامة . فمثلاً . .
الوجيه : اسمح لى أن أوفر عليكم الكلام ، وأقول بكل اختصار إن القلق عندى وعند غيرى . . . عند الجميع . . وربما فى العالم كله . . هو الشعور بعدم الاستقرار . . أليس هذا رأيكم ؟
أدهم : طبعاً .
شعبان : طبعاً . . طبعاً . .
الوجيه : والأسباب مختلفة . . كل واحد عنده أسبابه . . خذوا مثلاً حالتي أنا . . وحالة أمثالى . . افرضوا مثلاً « مجرد فرض . . » نى أمتلك خمسمائة فدان . . أقصد كنت أمتلكها . . والآن بالطبع لم يبق منها إلا مائة فدان فقط حسب قانون الإصلاح الزراعى . . .
أدهم : سيادتك كنت تمتلك خمسمائة فدان ؟
الوجيه : مثلاً .
أدهم : وأصبحت الآن مائة ؟ !
الوجيه : فقط .
شعبان : أنت إذن خير منا :
الوجيه : خير منكم ؟ . . كيف ؟ !

شعبان : أنا مثلاً كنت أمتلك سبعمائة فدان . . ضاعت منى كلها ولم يبق لى منها فدان واحد .

الوجيه : الاشتراكية ؟

شعبان : النسوان .

الوجيه : يا ساتر ! . .

شعبان : وشريكى كان يملك ستمائة فدان . . ضاعت منه كلها هو الآخر ولم يبق له منها ولا فدان .

الوجيه : النسوان أيضاً ؟

شعبان : القمار .

الوجيه : يا حفيظ ! أضعتم أراضيكم كلها فى النسوان والقمار ؟ !

أدهم : وأصبحنا كما ترى لا نملك شيئاً .

شعبان : إلا العافية .

الوجيه : هذه مصيبة ! وما زلتم بعقلكم ؟ !

أدهم : الحمد لله !

الوجيه : يا بختكم ! . .

شعبان : تحسدنا ؟ !

الوجيه : على هدوء بالكم ! . . هل تنامون بملء الجفون ؟

أدهم : ولنا شخير يسمع من سابع جار .

شعبان : ولا يزعج نومنا شىء غير البق ! . .

الوجيه : لا تشعرون بأى قلق ؟ !

أدهم : من هذه الجهة لا .

الوجيه : طبعاً . ما دام ليس عندكم فدان واحد تخافون عليه . أنتم فى راحة تامة . أنتم فى حالة استقرار . أما من يملك مائة فدان فإنه يعيش فى حالة قلق . لأنه لا يعرف ماذا سيحدث

لها غداً . لو وثق فقط أنها ستبقى في يده ؟ لكن هذا غير مؤكد

أدهم : سيادتك تطلب الاستقرار ؟

الوجيه : هل عندكم علاج ؟

شعبان : العلاج موجود وفى غاية البساطة .

الوجيه : ما هو ؟

شعبان : اكتب لنا المائة الفدان التى تملكها ، نصاب نحن بحالة القلق وتنعم أنت بحالة الاستقرار .

الوجيه : (ضاحكاً) حلوة !

شعبان : هذا هو العلاج العملى . ولو أن فيه تضحية منا . لكن واجبنا الإنسانى يدفعنا إلى إنقاذك وتعريض أنفسنا .

الوجيه : دمكم خفيف !

شعبان : والآن . . تسمح سيادتك بالأجرة ؟

الوجيه : الأجرة ؟ !

شعبان : أتعابنا . . أجر العلاج . . نحن وصفنا الوصفة . . تأخذ بها أو لا تأخذ هذا شأنك ــ الدكتور يكتب التذكرة والمريض حر يستعمل الدواء أو لا يستعمله . لكن الأتعاب واجبة دائماً بالكامل .

الوجيه : النكتة تستحق على كل حال . . كم الأتعاب ؟

شعبان : ادفع حضرتك حسب تقديرك . . .

أدهم : ومن جهتنا نحن أيضاً سندفع لك أتعابك إذا قمت بعلاجنا .

الوجيه : علاجكم من ماذا ؟ أنتم والحمد لله متمتعون بالاستقرار .

شعبان : استقرارنا متوقف على أتعابك .

الوجيه : يعنى إذا دفعت لكم . .

أدهم : نشفى .

الوجيه : تفضلوا . . جنيه يكفى ؟
شعبان : خمسة .
الوجيه : خمسة جنيهات ؟ أتعابكم ؟ وهو كذلك . . . تفضلوا . . .
(يخرج النقود من محفظته) - شفيتم الآن ؟
أدهم : نشعر بتحسن كبير .
شعبان : (يتسلم النقود) التوريد عندى . أنا صراف الخزينة .
الوجيه : والآن . . ما دمتم شفيتم على يدى ادفعوا لى إذن أتعابى !
شعبان : (يعطيه جنيهاً من الخمسة) تفضل !
الوجيه : جنيه واحد فقط ؟
شعبان : كفاية .
الوجيه : أتعابكم خمسة جنيهات وأتعابى جنيه واحد ؟ !
شعبان : أنت ليس عندك مثلنا مصاريف عيادة . أنت دكتور سريح ! لكن هنا شقة لها إيجار وماء ونور وصيانة ونظافة وهلم جراً . . .
الببغاء : (فى الخارج تصيح) ، يا سعيد أفندى كلم سيادة المدير . . يا جرجس أفندى كلم سيادة المدير !
الوجيه : ما هذا ؟
أدهم : السكرتير الخاص .
شعبان : ومصاريف السكرتير الخاص وأكله و . . .
الوجيه : عندكم سكرتير خاص ؟
أدهم : (مشيراً إلى نفسه) ومدير عام !
الوجيه : تسمحون لى . . ألقى نظرة على الشقة ؟
أدهم : الشقة فى الواقع ليست . .
الوجيه : لا بأس . المسألة على كل حال أصبحت واضحة . . وأنا

تمشيت معكم إلى الآخر لأعرف حقيقة الوضع . .

أدهم : نحن قصدنا شريف . . .

الوجيه : وهل أنا قلت عنكم لا سمح الله نصابين أو مهرجين ؟! كل ما فى الأمر أن أساويبكم تغلب عليه روح المرح والفكاهة والمداعبة . . .

أدهم : فعلاً . . نحن لا نملك إلا أسلوب الترفيه والتخفيف عن الزبائن . . .

الوجيه : أنا معجب بفكرتكم على أى حال . . وأعرض عليكم إذا سمحتم إدخالى شريكاً ثالثاً معكم فى هذا . . البنك . . ما رأيكم ؟

أدهم : شريك ؟!

الوجيه : وممول علاوة على ذلك . . أى أن جميع مصروفات التأسيس أتكفل أنا بها .

شعبان : جميع المصروفات ؟! هذا شىء عظيم!

أدهم : هذا عرض لا يمكن رفضه .

الوجيه : فى هذه الحالة اسمحوا لى أبدى بعض ملاحظات . . أولاً يجب إخراج مشروعكم من هذا الجحر فوراً . . والانتقال به إلى شقة محترمة . أى أن مركز البنك يجب أن يكون فى مكان لائق وموقع مناسب .

أدهم : لكن . .

الوجيه : اطمئن . . . عندى شقة خالية فى عمارتى بأول حى شبرا نخصصها مقراً لهذا المشروع . . ما رأيكم ؟

شعبان : عمارتك ؟

الوجيه : أظن يحسن أن أعرفكم بنفسى . . وأنا لست غريباً عنك كثيراً يا أستاذ أدهم . . نحن بالمديات . . وإن كنت لم أرك من قبل ولم ترنى . . قال لى زميلك متولى سعد إنك من كفر عنبة . . أظنك تسمع عن عائلة عاطف بكفر عنبه ؟ . . أنا منير عاطف .

أدهم : منير بك عاطف ؟

الوجيه : وشقيق المرحوم عادل عاطف . . . والدك الله يرحمه كان فيما أعلم مستأجراً فى أطيانه .

أدهم : فعلاً . . صحيح .

الوجيه : (يخرج من محفظته نقوداً) إليكم مبلغ خمسين جنيهاً . . أرجوكم أن تقتسموها . . مصروفات أولية . . لوازم ملبوسات لكم ونحو ذلك . . .

أدهم : لا يا منير بك . . لا . . نحن لا نقبل الصدقة والإحسان .

الوجيه : أستغفر الله ! . . أنا لم أقصد ذلك أبداً . . أنا مجرد ممول فى مشروع . وأنتم أصحاب الفكرة . والفكرة ستنفذ على نطاق أوسع . . وطبعاً ستتخذ شكلاً آخر أكثر جدية . . وأنا شريك صاحب مصلحة مثلكم فى النتائج . . من اختصاصى إذن بصفتى الممول المسئول عن التأسيس أن أقدم ما يلزم من نفقات أولى ضرورية ومنها نفقاتكم الخاصة .

شعبان : تقصد حضرتك أن مظهرنا الخاص يدخل فى التأسيس ؟

الوجيه : بدون شك . لأن وجودكم فى الشقة الجديدة يستوجب ذلك .

شعبان : إذا كان الأمر كذلك لا بأس . . (يتناول منه النقود)

الوجيه : اتفقنا إذن ؟

أدهم : اتفقنا .

الوجيه : على خيرة الله ! اسمحوا لى أنا الآن بالانصراف . . وسأتصل بكم قريبًا لأدعوكم للانتقال إلى الشقة الجديدة . . وسأكون قد اتخذت التدابير اللازمة لإنجاح المشروع . . وبالطبع سنرتب معًا بقية التفصيلات عند اجتماعنا القادم إن شاء الله . . إلى اللقاء !

أدهم : إلى اللقاء يا أفندم . . إلى اللقاء وشكراً . . .

شعبان : شكراً . . . شكراً . . .

(يشيعانه معاً إلى الباب بكل احترام و يعودان كالمجانين من الفرح) .

أدهم : الفكرة يظهر ستكبر وتنقلب إلى جد بحق وحقيق ! . .

شعبان : (يلقى بالجنيهات فى الهواء ويتلقفها) السماء فتحت علينا وأمطرت نقوداً . . . فلوساً . . . جنيهات . . . جنيهات . . !

الفصل الرابع

كانت دقة القدر أو دقة الحظ ، عندما طرق الباب فأيقظ الزميلين القاعدين فى شبه نعاس . ليدخل عليهما ذلك الزبون الذى لم يكن يخطر لهما فى الأحلام . الوجيه الثرى منير عاطف بقضه وقضيضه ، ليعرض عليهما الاشتراك فى تأسيس البنك وينثر عليهما الجنيهات ، ويمهد لهما سبيل الانتقال من حال إلى حال . . كان أول ما فعلاه وقد صار فى حوزتهما خمسون جنيهاً – مبلغ لم يحدث أن اجتمع لواحد منهما دفعة واحدة ! – أن فكرا أول ما فكرا فى أكلة محترمة ! وفى الحال نزلا معاً إلى شارع محمد على ، وجعلا يستعرضان المطاعم بأنفة وكبرياء ! . . هذا مطعم فول وطعمية . . أعوذ بالله ! وهذا مسمط كوارع وكرشة ولحمة راس . . . اخص ! . . وهذا محل سندوتشات . . . يغور ! . . وهذا مطعم السمك قشر البياض . . يعنى ! . . كل هذه أكلات قد تناسب من فى جيبه خمسون قرشاً لا خمسون جنيهاً !

وخرجا من هذا الشارع إلى شارع عصرى به مطعم أنيق ، وهمّا بالدخول . وإذا بأدهم يتردد قليلاً . إنه يخشى التهور . والنقود التى فى أيديهما مقصود بها التأسيس ، أى المظهر اللائق للوضع الجديد . وأدرك شعبان معنى تردده فدفعه دفعاً إلى داخل المطعم وهو يقنعه أن هذه الأكلة اللائقة تدخل أيضاً فى باب التأسيس . . . وجلسا إلى أول مائدة صادفتهما قرب المدخل . وانتظرا الخدمة . وطال الانتظار . وأصبحا كالأيتام فى مأدبة اللئام . فخدم المطعم كانوا يحملون الصحاف إلى بقية الزباين ويمرون بهما مر القطارات السريعة بمحطات الأرياف . وفطن أدهم إلى الخطأ

الذى ارتكباه . كان عليهما قبل أن يطأ أعتاب مثل هذه المطاعم بما هما عليه من رثاثة أن يدخلا أولاً حانوت ملابس ودكان حلاق . وصفق شعبان تصفيق الغاضب المتحدى ، محدثًا ضجيجًا لفت النظر ، فجاءه خادم يجرى وبيده قائمة الطعام . فما إن وقعت عينه على كلمة دجاجة حتى وضع إصبعه عليها . لقد مضى عليه حين من الدهر كان يعتقد فيه أن الحيوانات المنقرضة هى الدينوصور والدجاج . وتذكر أدهم صورة الدجاجة التى رآها يومًا فى ذلك الملهى الليلى أمام ذلك الرجل تاجر المواشى ، وكيف أنه كان يلتهمها معه ، لكن بعينيه لا بأسنانه . الآن جاءت فرصة الانتقام ! . . وانطلقا يأكلان كل ما كانا يشتهيان وخرجا فاشتريا قمصانًا وبنطاونات . وحلقا وابتاعا سجاير من أفخر صنف . وحاول شعبان أن يعثر على إعلاناته الملصقة فوجد بعضها قد تطاير واختفى ، والبعض فى مكانه قد لطخته أيدى الصبية والعابثين . ولم يعد ذلك يعنيهما الآن . فوسائلهما الإعلانية ستكون منذ اليوم قائمة على أساس متين حقيقى بفضل الشريك الجديد . لكن ما الذى حدا بهذا الوجيه أن يدخل معهما فى مثل هذه اللعبة ؟ ! إنها أعجبته ، هكذا يقول . وليس ببعيد أن يكون قد شم فيها رائحة مشروع رابح . كل هذا سوف ينجلى عندما يدخل الأمر مرحلة الجد . .

ومرت أيام أنفق فيها الزميلان كل ما فى حوزتهما من نقود ، ارتكانًا على عودة الشريك الممول . لكن ما من حس ولا خبر . وأقلقهما انتظاره الذى طال وامتد . وخامرتهما فكرة اختفائه كحلم سعيد . سيعقبه استيقاظ على حقيقة خاوية . . لكنهما عادا فاستبعدا هذه الفكرة السوداء . لا يمكن أن يكون هذا الرجل مجنونًا ليأتى ويعطيهما خمسين جنيهًا ويمضى هكذا بلا عودة ! . . وصدق حكمهما . فلم يمض يوم آخر حتى طرق عليهما الباب ، وظهر منير عاطف . وزف إليهما خبر المقر الجديد فى

شبرا . ووصف لهما العنوان . وأعطاهما مفاتيح الشقة بعمارته . وقدم إليهما عقد إيجار باسميهما ، طلب إليهما التوقيع عليه وسلمهما إيصالاً باستلامه الإيجار منهما مقدماً عن سنة كاملة . وفى هذا كما قال لهما منتهى الضمان والاطمئنان . وما عليهما الآن إلا الانتقال إلى مقر عملهما فى البنك ابتداء من اليوم التالى . . كل هذا حدث وهما يكادان لا يصدقان ما يجرى . أيمكن أن يكون هذا كله حقيقة ؟! لو أنه كان مزاحاً لكان أقرب إلى المعقول . .

وذهبا فى اليوم التالى حسب العنوان . فوجدا عمارة كبيرة فى شارع شبرا الواسع المزدحم . فدخلا وسألا البواب فقادهما إلى شقتهما فى الدور الأول ، لا حاجة لهما باستعمال المصعد الموجود . ففتح نوافذها وأضاءها فإذا هما فى مكان نظيف يشرح الصدر . مدخل رحب به مقاعد عديدة ومشاية بساط أحمر ، ومرآة فوق شماعة كبيرة . ثم ثلاث حجرات حسنة الرياش ، كل حجرة بها مكتب عليه أدوات كتابة جديدة ، وسجادة وخوان عليه طقطوقة سجاير وحوله مقعدان من الجلد . فأيقنا أن لكل منهما حجرته الخاصة . أما الحجرة الثالثة فكانت مثل الحجرتين ، وإن كانت فى أثاثها أفخم ، وعلى مكتبها يوجد جهاز تليفون وجهاز تسجيل « ركوردر » . ويحيط بالحجرات الثلاث شرفة ممتدة تزينها أصص زرع وأزهار . ما هذا العز كله ؟! وتركهما البواب متمنياً لهما طيب الإقامة . وأخبرهما أن البك صاحب العمارة سيمر بهما . وما إن خلا لهما المكان حتى قاما يرقصان . ثم جلسا فوق المكاتب يجربان الوضع الجديد . ثم جعلا يدخلان كل حجرة ويخرجان مبهورين ، ثم عادا إلى المكاتب وانتفخا فوقها وانتفشا . ثم ارتميا فى المقاعد الجلد وانجعصا . ثم أطلا من الشرفة على شارع شبرا الواسع بضجيجه وزحامه ومقاهيه . وأرسل أدهم بصره إلى الناس وهى فى الشارع تموج . . رجال ونساء وأطفال وشباب

وشيوخ . . . ما كل هذا الخلق ؟ وكأنه لم ير من قبل شارعاً مزدحماً بالناس . كل شيء يبدو الآن فى عينه جديد . حتى الزحام فى الطريق اتخذ فى مخيلته صورة جديدة . . .

وسرح بفكرة سرحة . وحسب حسبة . وقال فى سره : بعد ثمانين عاماً لن يكون أحد من كل هؤلاء المزدحمين فى الشارع موجوداً . لا فى هذا الشارع ولا فى أى شارع آخر فى العالم كله . سيكون الموجودون أناساً آخرين . جيل آخر كامل من الناس هم الذين سوف يزحمون هذا الشارع وغيره من شوارع الدنيا . إذن كل ثمانين عاماً أو تسعين تحدث عملية تفريغ كامل ، وتجديد شامل فى كافة الشوارع ! . . ومع ذلك فالعالم لا يتغير بهذه السرعة . لماذا ؟ !

وقفز بذهنه إلى صورة أخرى بعيدة . صورة نوح وسفينته . لقد حدثت مرة حالة تفريغ وتجديد ، سريعين هائلين . جاء الطوفان فجرف الناس جميعاً دفعة واحدة . وبقى من اختاره نوح فى السفينة . كانت عملية انتخاب دقيقة . تخير من كل نوع أنقاه وأرقاه . ولا يدرى أحد أى نظام أقيم على ظهر السفينة . أهو النظام الفاشستى أم الديمقراطى أم الشيوعى ؟ . . مهما يكن من أمر فلا خلاف فى أن نظام نوح كان غاية فى دقته وصلاحيته . إذ استطاع أن يبقى كل هذه الجماعات المختلفة فى حالة نظام تام ، بعيدة عن الفوضى والمجاعة . وغاض الماء وانحسر . وطهرت الأرض من أدرانها . وقذف بجيل جديد مصفى إلى حياة جديدة . فما الذى حدث ؟ طبعاً ما حدث معروف . لأن التاريخ موجود ، يشهد أن كل شيء عاد إلى ما كان عليه . لماذا ؟ هنا المشكلة ! بعد ثمانين عاماً سوف يكون السائرون فى شارع شبرا هذا أناساً آخرين ، وربما يلبسون ثياباً أخرى . لكن ما تحت الثياب وداخل الصدور ؟ ... لماذا لا تمتد إليه بحسم وسرعة يد التغيير ؟ !

واستمر أدهم يسرح ويشطح هكذا وهو ينظر إلى الشارع المائج بالناس ، إلى أن نبهه شعبان بصيحاته المزهوة وقوله له وهو يشير إلى الشارع الكبير تحتهما إنهما الآن فعلا على سطح الدنيا . هنا حقاً يمكن أن يشعر بوجودهما الناس . ويمكن أن يأتى إليهما زباين . وكان الهواء والنور يملآن الشقة كلها . فتنفس شعبان بملء رئتيه . وتذكر الجحر الذى خرجا منه . والفراش الذى عشش فيه البق . ونظر إلى النظافة حوله وقال : «أظن المبيت هنا غير مسموح به» . ولم يتلق رداً . فرد هو على نفسه «طبعاً لا . الشقة كلها مكاتب . معنى ذلك بالمحسوس أن هنا محل عمل فقط لا غير» .

ودق جرس الباب . فأسرعا معاً وفتحاه وظهر منير عاطف وخلفه البواب . وأشار بيده إلى البواب لينصرف . ودخل هو تواً إلى الحجرة الثالثة . وجلس إلى المكتب بجوار التليفون . ونظر إليهما لحظة وهما واقفان أمامه ينتظران أن يبدأ بالكلام . لكنه انصرف عنهما ، وأمسك بالسماعة وأدار القرص وخاطب شخصاً بكلام لم يفهما مضمونه . ثم أنهى المكالمة ، ونهض متجهاً إلى الحجرة الأولى وهما يتبعانه صاغرين . وأشار إلى أدهم ليجلس إلى المكتب . فجلس دون أن ينبس بكلمة . . .

المنظر الرابع

(منير عاطف ينظر إلى أدهم وهو على مكتبه الجديد . . .)

منير : يعجبك هذا المكتب ؟

أدهم : عظيم . والشقة كلها عظيمة !

منير : (يلتفت إلى شعبان) وأنت يا أستاذ شعبان . . مكتبك طبعاً في الحجرة الثانية .

شعبان : ربنا يخليك ويطيل لنا عمرك !

منير : هذه الشقة كانت في الحقيقة مكتبي الخاص . أحضر فيها من وقت لآخر لمباشرة شئون العمارة وتصريف أعمالي الأخرى . وجدت أني أقدر أتنازل لكم عنها . طبعاً إذا سمحتم أنا محتفظ لنفسي بالحجرة الثالثة ، التي فيها التليفون . لكن في إمكانكم استعمال التليفون . . في حضوري وأثناء غيابي . . في أي وقت ... تحت أمركم .

شعبان : يا سلام يا سعادة البك . الشقة كلها شقتك على كل حال .

منير : لا أبداً . الشقة مؤجرة لكم وباسمكم . وما أنا هنا إلا مجرد ضيف عابر .

أدهم : عابر ؟ لا يا منير بك . . أنت الكل في الكل .

منير : أنتم أمام الناس والقانون أصحاب البيت . المسئولون عنه .

شعبان : لكن سعادتك أنت المؤسس لهذا البنك .

منير : هذا كلام بيننا وبين بعض .

أدهم : والشركة الموجودة ؟

شعبان : سعادتك أهم شريك .

منير : أنا شريك بالمال . يعني أقدم لكم المساعدات بصفة أخوية . والآن ندخل في العمل . قبل كل شيء أحب أعرف مواردكم المعيشية . هل لكم إيراد ودخل ثابت ؟

أدهم : الواقع أننا . .

شعبان : فعلاً أننا . .

منير : مفهوم . . كنتم إذن معتمدين على هذا المشروع .

أدهم : مضبوط .

منير : فى هذه الحالة يحسن أن أنظم لكم أمور معيشتكم . . حتى تستطيعوا التفرغ لعملكم بمنتهى خاو البال . خصوصاً وأن مركزكم هنا فى الشقة يقتضى ظهوركم بمستوى معين من ... من حيث المظهر . . ما رأيكم لو خصصت لكل واحد منكما مرتباً ثابتاً خمسة وعشرين جنيهاً فى الشهر ؟

أدهم : خمسة وعشرين جنيهاً فى الشهر ؟ !

منير : قليل ؟

شعبان : نعمة من الله !

أدهم : لكن . . هل سيأتى هذا المشروع بأرباح تساوى ؟ . . نفرض أنه لم يأت بأرباح تذكر . . أو أتى بخسارة ؟

منير : مسألة الأرباح والخسائر هذه نتركها على جنب . لا نفكر فيها إلا آخر السنة .

أدهم : وإذا اتضح أنك أنفقت علينا أكثر من الدخل ؟

منير : لن أطالبكم برد شىء طبعاً .

أدهم : تتحمل كل هذه الخسارة ؟

منير : هذا شأنى . لا تشغل بالك الآن بهذه الأمور .

شعبان : فعلاً . لا تشغل بالك الآن يا أخى ! .. بشر ولا تنفر . تفاءل يا أخى تفاءل ! . . واترك سعادة البك يتصرف !

منير : نعم . . اتركونى أتصرف . . اتفقنا ؟

أدهم : اتفقنا .

شعبان : الاتفاق مقبول طبعاً يا سعادة البك . لكن طبعاً فى حالة الأرباح الزائدة عن المنصرف . . .

منير : تقصد الزائد عما أنفقته عليكم ؟ بدون شك . . إذا فرض

وتحققت أرباح يكون لكم نصيبكم .

شعبان : يعنى لنا مرتب ثابت ونصيب فى الأرباح ؟

منير : بالضبط . إذا فرض وكان هناك أرباح !

أدهم : بعد خصم المصاريف طبعًا بما فيها مرتباتنا .

منير : طبيعى . . أرجوكم . . اتركوا التفكير الآن فى مسألة الأرباح والخسائر هذه . . وأحب أن أنبهكم من الآن إلى عدم المغالاة فى تقدير أتعاب . أو مطالبة الزباين بأجور . . أنا أفضل عدم إرهاق الزباين .

شعبان : يعنى لا نطالب بأتعاب ؟

منير : أفضل أن تتركوا الزبون حرًا يدفع أو لا يدفع .

شعبان : بالنسبة إلى أتعابنا وأتعابه ؟

منير : جميع الأتعاب على السواء . لا تهتموا كثيراً بهذا الجانب المادى .

شعبان : عجيبة ! فى هذه الحالة المشروع سيأتى حتماً بخسارة .

منير : أنا وحدى المتحمل لكل خسارة .

شعبان : وما هى المصلحة ؟

منير : المصلحة المعنوية . الجانب المعنوى هو الأهم .

أدهم : الجانب المعنوى ؟

منير : بالتأكيد . . ترك الناس تتكلم . . . أقصد إتاحة الفرصة للزبون يفضى بكل ما فى صدره . . يكشف عن بواطن نفسه . . عن أسباب قلقه . .

أدهم : هذا كلام جميل . لكن يعنى . .

شعبان : لكن يعنى . . ماذا بعد ذلك ؟

منير : لا شىء . هذا هو كل ما عليكم أن تفعلوه .

أدهم : لكن فكرة البنك هى أن نعالج الزبون ويعالجنا .
منير : دعكم الآن من حكاية العلاج هذه .
أدهم : لكن . .
منير : مجرد استخراج ما فى بطن الزبون هو نفسه علاج . .
(البواب يظهر)
البواب : لا مؤاخذه يا بك . . . الست مرفت هانم والست خالتها . . .
منير : آه . . لا بد كانت عند الخياطة .
مرفت : (داخلة بسرعة وخلفها خالتها) فعلاً كنا عند خياطتى فى العمارة ، وقلنا نمر عليك يا عمى كالمعتاد .
منير : أهلاً . . انتظرونى فى حجرتى هناك . . . أنا غيرت الحجرة . . لأن بقية الشقة الآن مشغولة . تنازلت عنها لحضراتهم . . (يقدم أدهم وشعبان) الأستاذ أدهم والأستاذ شعبان . . عندهم مشروع مهم . . ربما نتحدث فيه كلنا فيما بعد . . (يقدم السيدتين) ومرفت بنت شقيقى . . . والست خالتها فاطمة هانم . .
أدهم : (لمرفت) أنا سبق رأيت مرفت هانم وهى طفلة فى الرابعة من عمرها . .
مرفت : رأيتنى وأنا طفلة ؟
شعبان : (مبهوراً بجمالها) رأيتها وهى طفلة ؟ ! أنت بختك من السما !
أدهم : (لمرفت) وكنت تبكين لتركبى حصان البك الوالد .
منير : الأستاذ أدهم من كفر عنبة . . يبقى ابن الشيخ عبد الصمد .
مرفت : لا أذكر أنى رأيتك .
أدهم : طبعاً ولا يمكن أن تتذكرى . أنت كنت صغيرة . أما أنا فكنت يومئذ طفلاً فى العاشرة . وكنا كلنا أطفال القرية

نَنظر إليك عن بعد وأنت فوق الحصان .

مرفت : حتى حكاية الحصان هذه لا أذكرها جيداً .

أدهم : كان حصاناً أبيض فيما أذكر ، وله بقعة سوداء فى جبينه .
وكانت يومئذ الست الهانم والدتك . . .

مرفت : (فى لهفة) والدتى . . .

فاطمة : (تجذب يد مرفت بشدة خارجة بها) تعالى يا مرفت .. كفاية..
تأخرنا ، نمر عليك فى وقت آخر يا منير بك !

منير : وهو كذلك . أنا على كل حال عارف الغرض من الحضور ،
ما دامت كانت عند الخياطة . . سأجهز المطلوب . .

(يشيعهما إلى الباب)

شعبان : (هامساً) يا سلام على الجمال !

أدهم : (يغمزه) هس . . بس ! . . اسكت ! . .

منير : (يعود إلى مكانه) الخياطة وحسابها .. شىء يطول شرحه ! ..

شعبان : اللهم صل على النبى !. مرفت هانم تستحق أعظم خياطة فى
الدنيا . هى التى تزين الفستان وليس الفستان هو الذى يزينها !


أدهم : (يهمس) اسكت يا شعبان ! .

شعبان : ألا يحق لى أن أمدح الظرف واللطف والجمال .. الله جميل
ويحب الجمال يا أخى !

أدهم : يا شعبان ليس هذا وقته .

شعبان : هذا هو وقته . أنا أتكلم بمناسبة الخياطة . وكلام منير بك . .
واستنكاره حسابها وقوله إنه شىء يطول شرحه !

منير : أنا لا أستكثره . أنا فقط أقرر ملاحظة عامة .. الخياطة
والكوافير فى عصرنا الحاضر لهما قوانين نافذة على العالم كله .



شرقًا وغربًا .. هل يوجد من يستطيع مخالفة هذه القوانين ؟
في أي بلد من البلاد ؟ !

أدهم : صدقت .. حكومة عالمية ..

شعبان : حكومة رعاياها النسوان لا بد تمشي كالساعة . وما على الرجل غير الطاعة !

منير : هذا صحيح .

أدهم : فعلاً .. لو استطاع مذهب سياسي واحد أن يظفر بمثل هذا النفوذ على كل العالم ..

منير : على فكرة يا أستاذ أدهم .. نسيت أسألك .. لا تؤاخذني .. أنا سمعت أنك كنت في الاعتقال .

أدهم : متولي سعد قال لك ؟

منير : طبعاً ، لكن مجرد إشارة عابرة لم يذكر لي تفصيلات ..

أدهم : على كل حال لم يكن ذلك بسبب سرقة ولا نصب ولا خيانة أمانة .. لا شيء مما يخدش الذمة والشرف والكرامة .

منير : مفهوم . مسائل سياسية ..

أدهم : مجرد آراء .

شعبان : آراء سخيفة وحياتك يا بك !

أدهم : أنا آرائي سخيفة يا شعبان ؟

شعبان : أقصد أنها ليست خطيرة حتى لا ينزعج البك يا أخي .. افهم !

منير : ومن قال إني أنزعج ؟ ! بالعكس أنا يهمني أعرف كل شيء على حقيقته .

شعبان : حقيقة الأمر أن أدهم رجل طيب ابن حلال . وأن اعتقاله كان من باب السهو والغلط . وأفرج عنه حالاً في أمان الله .

منير : هذا شيء يسر . لكن يبقى بعد ذلك سؤال أحب أن أسأله بدون إلحاح . سؤال غير مهم . ولك يا أستاذ أدهم أن ترفض الإجابة .

أدهم : تفضل . . تفضل . . أنا يهمنى أن أجيب على أى سؤال .

منير : ما هو موقفك السياسى ؟

أدهم : موقفى السياسى ؟ أنا . . أنا فى الواقع لم أحدده بعد . .

منير : أهذا ممكن ؟ رجل مثلك كان فى الاعتقال بسبب آرائه كما تقول أنت نفسك . .

أدهم : فعلاً بسبب آرائى .

منير : إذن لك موقف سياسى محدد .

أدهم : ليس من الضرورى .

منير : لا داعى للف والدوران . . قل لى بصراحة يا أستاذ أدهم . . هل أنت مع النظام ؟

أدهم : وأنت ؟

منير : أنا . . أنا طبعاً مع النظام .

أدهم : وأنا مثلك .

منير : صاحبك متولى سعد قال لى إنك يسارى متطرف . .

أدهم : وهل هذا . . شيء يخيفك ؟ !

منير : لا . أبداً . . أنا سيان عندى .

أدهم : ما دام الأمر كذلك فلماذا التحرى عن موقفى ؟

منير : لمجرد العلم بالشيء . ليس إلا . ما دمنا سنعمل معاً ، من الطبيعى إذن أن يعرف كل منا موقف الآخر .

أدهم : وهل نحن تحرينا عن موقفك ؟

منير : موقفى أنا واضح .

أدهم : وضح لنا أكثر . إذا سمحت .
منير : أنا طبعاً . . اشتراكى .
أدهم : اشتراكى برجوازى .
منير : بالضبط .
أدهم : أو برجوازى اشتراكى .
منير : تمام .
أدهم : أو يمينى يسارى . اشترأسمالى !
منير : ماذا تقول ؟
شعبان : أرجوكم . . أرجوكم . . هل هذه التحريات والأوصاف والتعريفات لازمة لعملنا هنا ؟ لها دخل بشغلنا ؟ !
منير : لا يا أستاذ شعبان . وأنا سبق قلت إن كل هذا لمجرد العلم بالشيء . لا أكثر ولا أقل . لمجرد معرفة كل منا أفكار الآخر . ونحن كلنا فى الواقع متفقون . ومن مبدأ واحد . وموقفنا واحد . وكل شيء على ما يرام .
شعبان : اطمئن يا منير بك من جهتنا اطمئن !
منير : أنا مطمئن . ومن نعم الله أننا نسير على سياسة كل شيء يمشى مع بعضه ما دام الجميع مع الدولة . ونحن كلنا مع الدولة والحمد لله .
شعبان : أنا أيضاً عندى سؤال . . تسمح ؟
منير : تفضل .
شعبان : اشتراكك معنا فى هذا العمل . . أقصد البنك . . وتحملك كل هذه المصروفات والنفقات . . بدون توقع أو نظر إلى أى ربح . . أهو مثلاً من قبيل . .
منير : من قبيل ماذا ؟

شعبان : من قبيل الهواية مثلاً . . أو شغل الفراغ أو . .

منير : لا أبداً . . هى فى الحقيقة مجرد رغبة فى . . فى الخدمة العامة .

شعبان : الخدمة العامة ؟

منير : خدمة إنسانية . . ألم يكن هذا هو هدفكم الأصلى من هذا المشروع ؟ . .

شعبان : طبعاً ، لكن . . بصراحة نحن كنا ننتظر من ورائه أيضاً شيئاً من الكسب . الكسب المشروع . . كأى عمل آخر أو حرفة تعول صاحبها .

منير : من هذه الجهة أنا ولله الحمد فى غير حاجة إلى الاحتراف .

شعبان : إذن أنت تتبرع بمالك لمجرد الفكرة ؟ !

منير : الفكرة فى الحقيقة أعجبتنى . . وسبق أن قلت لكم ذلك . دخلت مزاجى وسلبت لبى . . وكل مال فى سبيلها يهون .

أدهم : يا شعبان . . نحن سبق تكلمنا فى ذلك . . منير بك حر فى ماله . والفكرة تستحق . والمهم أنها وجدت من يتحمس لها . ما الداعى إذن إلى إعادة فتح باب الكلام فى هذا الشأن ؟ .

شعبان : لنكرر الشكر لمنير بك .. أقل منها يا أخى . . رجل يتحمس لفكرة ويتبرع بماله من أجلها . . لا ينتظر من ورائها جزاء ولا شكوراً .

أدهم : من هذه الجهة هو فعلاً جدير بكل ثناء وتقدير . .

منير : أستغفر الله . . أستغفر الله . أترككم الآن . . عندى بعض أشغال أخرى مستعجلة . . إلى اللقاء .

أدهم : إلى اللقاء . .

شعبان : مع ألف سلامة !

(يشيعانه إلى الباب ويعودان يفركان الأيدى استبشاراً . .)

أدهم : كل شيء يدل على أننا نجحنا .
شعبان : المحير هو أن هذا الرجل متفائل أكثر منا !
أدهم : ولماذا هذا محير ؟
شعبان : لأن تفاؤل هذا الرجل يصل إلى حد الهوس ! تفاؤلنا نحن مجرد صرف كلام ، لكن تفاؤله هو مترجم إلى صرف نقود !
أدهم : وماذا يهمك من هذا الهوس أو الجنون ؟ ! هذا شيء يحسن ألا نفكر فيه . .
شعبان : أنا الآن لا أفكر فيه .
أدهم : من يدرى ؟ إن الأفكار الكبرى لا يحققها أحيانا إلا المجانين !
شعبان : أنا أفكر الآن فى شيء آخر .
أدهم : ما هو ؟
شعبان : جمال مرفت هذه . .
أدهم : لا ، ارجع يا شعبان . . ارجع ! أنا غير مستعد الآن لهذيانك . . سلام عليكم ! . .
شعبان : إلى أين ؟
أدهم : سلام عليكم .
(يتجه إلى الباب منصرفاً)
شعبان : أو تتركنى هنا وحدى . . خذنى معك !
(يسرع خلفه ويخرجان)

الفصل الخامس

لم يترك شعبان رأس زميله بخير لحظة واحدة . طول الطريق وهما سائران لم يكف عن تصديع رأسه بالحديث عن مرفت التى فى حسن القمر . وأدهم يسد أذنيه ويفهمه أن الوصول إليها بقمر صناعى ينطلق من صاروخ لا يؤدى أيضاً إلى نتيجة . فهو سوف يتحطم فوق رمال مجدبة .
ودخلا الجحر العامر بدرب الطبالى بشارع محمد على . فقد تم الاتفاق على أن تكون مواعيد العمل فى البنك من الرابعة مساء حتى العاشرة . لأن فترة الصباح قد يكون الناس فيها مشغولين بأعمالهم . وضماناً للمحافظة على المواعيد رأى الزميلان أن يقطنا معاً ، حتى يكون كل منهما منبهاً ، ومشجعاً للآخر . فترك شعبان غرفته بالسطح ، وقرر مساكنة أدهم بصفة مستديمة . فالشقة وإن كانت جحراً فهى تسمى شقة . وما دام معهما الآن نقود ففى الإمكان تنظيفها وتحسينها . وأول ما ينبغى عمله هو شراء سرير جديد ومرتبة نظيفة جديدة لشعبان . وأن تخصص له حجرة مستقلة ، هى حجرة المكتب . وأن يباع هذا المكتب لتاجر الربابيكيا . فلا حاجة إلى مكتب هنا ، ما دام مقر العمل هناك ، بعمارة شبرا على المكاتب الفاخرة . وما دام تاجر الربابيكيا سيشرف فليأخذ بالمرة سرير أدهم القديم ومرتبته المرصعة بالبق . ونقوده فى جيبه لشراء سرير جديد هو الآخر . . كان منير عاطف قد منح كلا منهما مرتب شهر مقدماً ، حتى يستطيعا الانتظام فى المعيشة . كل شىء إذن سائر على ما يرام . وما كان كل ذلك ليخطر لهما إلا فى الأحلام .

لكن صورة مرفت لا تريد أن تترك شعبان . أما لو ظفر بها . .

كانت هذه الأمنية ترعب أدهم ويحسب لها حساباً . إن الكنز الذى فتح لهما بابه قد يسده شعبان بحماقته . وحاول أن يثنيه عن هذا المطلب الشائك . فالنساء كثيرات . وإذا شاء اللعب فليلعب بعيداً عن الشغل . امتثل شعبان على رغمه . وإن كان لم يكف عن اللف والدوران حول سيرة مرفت . هل هى حرة ؟ هل هى متزوجة ؟ لا يمكن أن تكون فتاة لم تتزوج بعد ، وهى الآن تقترب من الثلاثين . جميلة ثرية . إذن هى متزوجة . ومن هو زوجها ؟ وأين هو ؟ ثم خالتها فاطمة هانم هذه بوجهها المكتئب وملامحها الصارمة وذبول المرأة التى جاوزت الخامسة والأربعين ؟ . . إنها فيما يبدو ذات سلطان كبير على الشابة الحسناء . فهى عندما أمرتها بالانصراف انصاعت فى الحال . وهذا العم منير بك الذى يصرف شئونهما المالية فيما ظهر . كان قد قال إن شقيقه عادل عاطف قد توفى . لكن والدتها ؟ أين هى ؟ وهنا تذكر شعبان أنه عندما جاء ذكرها على لسانه لفظت مرفت بشىء من الاضطراب كلمة « والدتى » وعندئذ أسرعت خالتها بقطع الحديث وأمرتها بالانصراف السريع ! . .

جعل شعبان يثرثر هكذا . وأدهم يصغى أحياناً ولا يصغى . لكن الموضوع دعاه بدون أن يشعر إلى استرجاع الذاكرة . مرت برأسه أطياف بعيدة لأفراد تلك الأسرة ، عندما كانوا يمرون بالجرن وقت دراس الأرز وهو صبى صغير فوق النورج . كان البك الكبير الأنيق عادل يرف أحياناً فى عباءة من الحرير الأبيض أو من الصوف الأسود الخفيف . كان وقتئذ فى نحو الأربعين . وكانت تسير إلى جواره زوجته وهى يومئذ فى الثالثة والثلاثين . كل ما يذكر منها تلك الغلالة البنفسجية حول رقبتها وشعرها . وخلفها أختها الصغرى فاطمة . كانت فى نحو العشرين ، هيفاء بارزة النهدين ، ترى دائماً وفى يدها كتاب . لم تكن قد انقطعت عن مواصلة دراستها . تلك هى هذه الخالة . يا للزمن!

كيف يغير الأجسام والملامح ! أما منير هذا فلا يذكر أنه رآه من قبل . كانت أرضه فى الناحية على بعد خمسة كيلومترات . وكان مقيماً فيها . وربما كان يتم التزاور بين الشقيقين فى فترات لم يكن ليلحظها صبى فى سن أدهم . ولم يكن لزوجة عادل أرض هناك . فقد كان يقال فى الناحية إن الثروة ثروة عادل بك عاطف وأسرة عاطف . . تلك هى كل معلومات أدهم التى استخرجها من بين غبار ذاكرته . لكن شعبان يريد الاستزادة . ولا تهمه أى تفصيلات بعيدة عن شخص مرفت . ولم يأخذ أدهم صديقه مأخذ الجد . فهو يعرف أن أمثاله من أزيار النساء لا ينفذ فيهم الحب الحقيقى إلى أعماق دفينة . إنما هو نهم طارئ أمام كل صنف جديد من أصناف النساء . ثم إنه فرصة لموضوع حديث يحب أن يصول ويجول فيه أمثالهم . فليتركه إذن يمضى فى ثرثرته . فالكلام لا خطر فيه . وتظاهر بالاستماع إليه وهو مستلق على سريره . لقد رفض شعبان الاقتراب من هذا السرير . وآثر النوم واقفاً أو جالساً على كرسى الخيزران المثقوب .

وفى صباح اليوم التالى بادرا إلى تنفيذ ما اتفقا عليه من تجديد الشقة . ثم ذهبا لتناول الغداء فى مطعم نظيف معتدل . لم يسرفا فى الطلب هذه المرة . فأمامهما شهر كامل عليهما تدبير المعيشة فيه تدبيراً محكماً . لأن النقود إذا نفدت خلاله فلن يجرؤا على طلب سلفة من هذا الممول الكريم ، وهما لم يقوما بعد بأى إنتاج أو نشاط . وما إن وافت الساعة الرابعة حتى كانا فى مقر العمل . المحافظة على المواعيد فى البداية أمر ضرورى . وعند الدخول فوجئا على باب الشقة المحترمة بلوحة نحاسية مكتوب عليها « بنك القلق » . وقال لهما البواب إن منير بك كان قد أمر بإعداد هذه اللوحة ، كما أمر أيضاً بتركيب لافتة خشبيه كبيرة على جدار الشرفة من الخارج ، ليراها المارة فى الشارع . ولم يكن

الزميلان قد خطر لهما ذلك، فلم يرفعا البصر إلى الشرفة وهما داخلان . فهبطا إلى الشارع مرة أخرى ونظرا إليها بزهو . ثم عادا وصعدا وجلسا . كل إلى مكتبه بوقار كتمثال .

المنظر الخامس

(فى مكتب أدهم . وقد دخل عليه شعبان)

أدهم : لماذا تركت مكتبك وجئت ؟
شعبان : جئت أنظر إليك وأنت جالس هكذا بوقار !
أدهم : ولماذا لا تجلس أنت أيضاً على مكتبك بوقار ؟!
شعبان : جلست . ولكنى مللت .
أدهم : وأنا أيضاً .
شعبان : الجلوس على المكاتب هكذا شىء ممل !
أدهم : جداً .
شعبان : إذا كنا نساء كنا جئنا معنا بخيط تريكو وقعدنا نسلى أنفسنا بشغل الإبرة !
أدهم : هنا ليست مكاتب حكومة . . هنا بنك .
شعبان : وإذا لم يحضر زبون لهذا البنك ؟ !
أدهم : صبرك يا أخى . . الصبر . . . الصبر . .
شعبان : نصبر . . لكن يعنى . . أنت متأكد ؟
أدهم : متأكد من ماذا ؟

شعبان : من أنه سيدخل عندنا زبون ؟

أدهم : بعد هذه الشقة المحترمة . . فى هذه العمارة الفخمة . . فى شارع شبرا المزدحم . . وهذه اللافتة الكبيرة على الشرفة . . وهذه اللوحة النحاسية على الباب . . وهذا البواب القائم على العتبة . . قلم استعلامات للداخل والخارج . كل هذا ولا يحضر زباين ؟ !

شعبان : افرض . . افرض . . ماذا يكون موقفنا ؟

أدهم : موقفنا مضمون لمدة سنة . أنسيت أن عقد إيجار هذه الشقة هو لمدة سنة قبض المالك القيمة منا مقدماً . ومعنا الإيصال ؟

شعبان : وماذا نصنع بالشقة ! المهم المرتب . هل يستمر يدفع لنا المرتبات مع عدم حضور زباين ؟

أدهم : هذا احتمال لا بد أنه فكر فيه وعمل حسابه .

شعبان : عمل حسابه على طردنا وقفل البنك . هذا بالنسبة له أسهل حل .

أدهم : من فضلك لا تكركب بطنى !

شعبان : نغش أنفسنا ؟ ! الموضوع كله من أوله لآخره لا يدخل العقل . إلا إذا كان هذا الرجل مصاباً بلوثة فى عقله !

أدهم : وهل كنا نحن مصابين بلوثة فى عقولنا عندما خطرت لنا هذه الفكرة ؟ !

شعبان : نحن شيء آخر .

أدهم : تريد أن تقول إننا مجانين أصلاً ؟ !

شعبان : أريد أن أقول إن جنوننا معقول . لكن عندما تدفعنا الفكرة إلى أن نأتى بناس نتنازل لهم عن شقة فخمة ، ونعطيهم عقود إيجار ، ونسلم لهم إيصالات ونجلسهم على مكاتب ، وندفع

لهم مرتبات . .

أدهم : يا أخى نحن لسنا مسئولين عن عقول الغير ! . .

شعبان : وهو كذلك .

أدهم : تفاءل . . تفاءل ! . .

(جرس الباب يرن . .)

شعبان : الجرس . . زبون !

أدهم : اذهب حالاً وافتح !

شعبان : أنا الذى أذهب وأفتح ؟ ! صراف الخزينة ؟ !

أدهم : وهل الذى يذهب المدير ؟ !

شعبان : أمرى إلى الله ! . (ويذهب ويفتح ويصيح) أهلاً وسهلاً ! يا ألف مرحب . . الشقة نورت . . الدنيا كلها أنوار . .

مرفت : (داخلة بسرعة) عمى هنا ؟

شعبان : (خلفها) سيحضر حالاً . . تفضلى استريحى .

أدهم : (ينهض ويقدم لها المقعد) تفضلى يا هانم .

مرفت : (تجلس) مرسى ! . . أنا فى الحقيقة مندهشة من هذه اللافتة وهذه اللوحة على الباب ! . . ما معنى بنك القلق هذا ؟ ! أنا وخالتى كنا نتساءل الآن عن ذلك ، ونحن نصعد إلى الخياطة فى الشقة المقابلة . . تركتها هناك تجرى بروفة على فستان ، وحضرت أسأل عمى . .

شعبان : تحت أمرك . . نحن نستطيع أن نجيب .

مرفت : قولوا لى إذن ! . . ما هى حكاية هذا البنك ؟ !

شعبان : حكايته طويلة تحتاج لشرح . . إذا سمحت ننتقل إلى مكتبى فى الحجرة الثانية . .

مرفت : وما هو الداعى ؟ !

أدهم : حقاً ما هو الداعى يا أخى ؟ أليس هنا أيضاً مكتب ؟
مرفت : فهمونى الحكاية باختصار . . لأنى لا أستطيع أن أمكث هنا أكثر من خمس دقايق .
شعبان : خمس دقايق فقط ؟ ! هذا لا يكفى للشرح .
مرفت : (تنظر إلى الساعة فى معصمها) عشر دقايق .
شعبان : نحن فى غاية السعادة بهذه الدقايق . ونسأل الله أن يمد فى طولها وعمرها !
مرفت : ادخلوا فى الموضوع أرجوكم . . عمى مشترك معكم ؟
شعبان : طبعاً . . يعنى . .
مرفت : يعنى ؟
شعبان : يعنى بكرمه وفضله وتشجيعه و . . .
مرفت : المهم ما هى فكرة هذا البنك باختصار ؟
شعبان : هى فى الواقع فكرة . .
أدهم : أنا أقول لك يا هانم . . باختصار لاحظنا أن كل إنسان عنده شيء يقلق باله . . فى ناحية من النواحى . .
مرفت : طبيعى .
أدهم : وكل مصاب بالقلق فى حاجة إلى علاج .
مرفت : آه . . طب نفسانى ؟
أدهم : لا أبداً . . نحن لسنا أطباء . نحن أيضاً مرضى . ومهمتنا أن يفتح الناس صدورهم لنا ونفتح صدورنا لهم . علاج متبادل .
شعبان : وهذا هو الفرق بيننا وبين الطبيب النفسانى . . الطبيب النفسانى يعتقد أنه هو السليم وأن الناس هم المرضى !
مرفت : تقصدون أن تبادل الشكوى فيها راحة أكثر .

شعبان : تمام يا هانم .
أدهم : لأن المريض عندما يجد طبيبه أكثر منه مرضاً يخف ألمه ويشعر براحة .
شعبان : وعندئذ ينقلب الطبيب إلى مريض والمريض إلى طبيب . وبالعكس . .
مرفت : شيء غريب !
شعبان : هذه هي كل الفكرة باختصار .
مرفت : لكن . . ما علاقة ذلك بالبنك ؟ !
شعبان : العلاقة موجودة . . البنك يقرض ويقترض في نفس الوقت . . أليس كذلك ؟
مرفت : أظن .
شعبان : نحن أيضاً كذلك .
مرفت : ماذا ؟ تقرضون وتقترضون ؟
أدهم : لا . . نعالج ونتعالج . . هذا هو أساس التشابه . .
مرفت : إذن أنتم مرضى باستمرار ؟ !
شعبان : طبعاً . ما دام الزبون مريضاً فنحن لا بد أن نكون مثله وأكثر منه !
مرفت : لكن . . عندما يحضر إليكم مريض . . لا بد طبعاً من أن يكشف لكم عن سبب قلقه . . أحياناً يكون السبب شخصياً جداً . . كيف يضمن حفظ السر ؟
شعبان : الأسرار هنا يا هانم في الحفظ والصون .
أدهم : نحن لا نطالب أحداً بالكشف عن أسراره الخاصة . . يكفي أن يتكلم كلاماً عاماً بشكل يريحه .
مرفت : (تنهض للانصراف) مرسي ! . . أنا أخذت فكرة عن الموضوع .

شعبان : العشر دقايق لم تنته بعد .
مرفت : يجب أن أنصرف . . خالتى منتظرة .
شعبان : لكنك . . لم تخبرينا عن رأيك ؟
مرفت : رأيى فى ماذا ؟ !
شعبان : فى هذا البناك ؟
مرفت : لا أدرى آ . . هل حضر إليكم أحد ؟
شعبان : نحن لم نفتتحه بعد بصفة رسمية . . لماذا لا تكونين أنت أول من يفتتحه لنا ؟
مرفت : أنا ؟ !
شعبان : إنها لسعادة كبرى لنا أن تكونى أنت أول زبون .
مرفت : ولكنى أنا لست مريضة .
شعبان : لا نقصد المرض . لا سمح الله . . لكن لا بد عندك بالطبع مثل كل الناس ما . . ما يقلق بالك . .
مرفت : ليس عندى قلق . . ولكن ربما بعض المضايقات . .
شعبان : نحن فى الخدمة . . اطرحى علينا هذه المضايقات !
مرفت : لا .
شعبان : وما هو المانع ؟
مرفت : المانع هو أنكم لستم من الطراز الذى يفهم ذلك .
شعبان : نحاول أن نفهم . .
مرفت : أقول لك إذن عن مسألة ضايقتنى بشكل فظيع . .
شعبان : ما هى ؟ . . تفضلى قولى . . أنا خدامك ! . .
مرفت : تصور أن سكاندال دىسوار غير موجود على الإطلاق !
شعبان : ماذا ؟ !

مرفت : سكاندال دى سوار . . ألا تعرف ما هو سكاندال دى سوار ؟ . .

شعبان : والله أنا . .

مرفت : بالكلام العربى يعنى فضيحة المساء . . غير موجود على الإطلاق فى السوق !

شعبان : فضيحة المساء ؟ ! غير موجودة فى السوق ؟ ! إن كان على الفضايح فهى تملأ الأسواق !

مرفت : أى فضايح ؟ . . أتعرف ماذا أقصد ؟

شعبان : لا والله . .

مرفت : فضيحة المساء هذا اسم عطر جديد ظهر فى باريس . . آخر موضة فى العطور عند كارفن . . محل كارفن . . فاهم ؟ ظهر من أسبوعين ! . .

شعبان : آه . . لا مؤاخذة ! . .

مرفت : عندما تعلم أنه ظهر من أسبوعين . . ولا تستطيع الحصول عليه ، ماذا يكون شعورك ؟ ألا ترى أن هذا شىء مقلق للراحة . . مقلق للبال ؟

شعبان : طبعاً . شىء مقلق جداً !

مرفت : والأدهى والأمر إذا عرفت أن واحدة صديقتى وصلها هذا العطر من باريس . . وأنها تتيه وتتدلل وتفاخر به علينا . . وتغيظنا وتفرسنا وتكيدنا فى كل مكان . . شىء يجنن ويطير العقل أم لا ؟

شعبان : طبعاً شىء يجنن ويطير العقل !

مرفت : ومع ذلك . . أنا ولا يهمنى !

شعبان : ولا يهمك ؟ !

مرفت : هذه عادتى . كل ما يضايقنى أدوسه تحت قدمى . . ولذلك أنا التى أكيد وأغيظ كل صديقاتى بعدم المبالاة . .

شعبان : يا بختلك !

مرفت : أنا لا أحب أن أعلن شكواى من أى شىء !

شعبان : ما دمت أنت كذلك فاسمحى لى أنا أن أشكو . . أنا مريض . . وأحتاج للمعالجة . . .

أدهم : اسكت يا شعبان . . ليس هذا وقته .

شعبان : أنا أتكلم بجد . . إذا كان الزبون ليس مريضاً ولا يشكو من أى شىء فله أن يعالجنا نحن . . أليس هذا هو مبدأ البنك ؟ أنا مريض . . والست تستطيع أن تشفينى . .

أدهم : أنا فاهمك . . ابعد ! . .

مرفت : (تحاول الانصراف) اسمحوا لى . . .

أدهم : أنا متأسف . . زميلى يحب المزاح .

مرفت : ظاهر عليه .

شعبان : أنا غلطت يا هانم ؟ سامحينى !

مرفت : لا أبداً . . لم يحدث شىء . . أنا مضطرة أنصرف . . لو كان عندى وقت كنت قعدت أكثر . ربما فى فرصة أخرى .

شعبان : وهل نطمع فى فرصة أخرى ؟

مرفت : ربما .

شعبان : كنت تسألين عن عمك . . إنه حتماً سيحضر هنا بين لحظة وأخرى . لو مكثت معنا خمس دقائق أخرى . .

مرفت : لا أريد ترك خالتى تنتظر طويلاً عند الخياطة . .

شعبان : أنت دائماً مع خالتك . . يظهر أنك تحبين خالتك كثيراً .

مرفت : طبعاً .
شعبان : وطبعاً أولادك . .
مرفت : أولادي ؟ ! ليس عندى أولاد .
شعبان : وزوجك ؟
مرفت : ليس عندى زوج .
شعبان : لم تتزوجى بعد ؟ !
مرفت : تزوجت مرتين .
شعبان : مرتين ؟ وماذا حصل ؟ . .
مرفت : طلاق .
أدهم : كفاية يا شعبان . . كفاية . . هذا لا يصح بالمرة !
مرفت : دعه يسأل . . يظهر أن عنده حب استطلاع شديد . . لننظر إلى أين يريد أن ينتهى . . اسأل !
شعبان : وتعيشين الآن بمفردك ؟
مرفت : مع خالتى . . فى منزلنا بالدقى والمنزل به حديقة . والحديقة بها زهر ياسمين على السور . . وهذا الياسمين أبيض اللون . . عندك أسئلة أخرى ؟
شعبان : والست والدتك ؟
مرفت : (تضطرب) والدتى ! . . أرجوكم . . عن إذنكم . . أورفوار ! (تنصرف سريعاً)
شعبان : أنا قلت كلمة غلط ؟ !
أدهم : أنت زدتها . . وكنت فى غاية السماجة والخليطة !
شعبان : انصرفت مضطربة عند سؤالها عن والدتها . . ما له السؤال عن أمها ؟ !
أدهم : وأنت لماذا تسأل يا أخى ؟ !

شعبان : كلها أسئلة بريئة . . عادية . ألا تذكر فى المرة السابقة عندما جاء ذكر أمها . . كاد يحدث نفس الشيء ، لولا سحبتها خالتها . .

أدهم : يظهر أنها نقطة حساسة عندها !

شعبان : الأم ؟ لماذا ؟

أدهم : من يدرى ؟ هنا فعلاً شيء من الغموض !

شعبان : هى كلها غامضة . وهذا يزيدها سحراً ! .

أدهم : دعك من سحرها ! ولا تكرر ذلك . وإلا عرضتنا لمشاكل ربما هددت شغلنا . . التفت أنت إلى شيء نافع !

شعبان : وهل هناك أنفع من دخول الجنة . . هذه المرأة هى الجنة !

أدهم : جنة أسوارها شوك !

شعبان : أنا لا أدخل الجنة من فوق الأسوار . . أنا أدخلها من الأبواب . . عندى جملة مفاتيح !

أدهم : مفاتيح مزيفة طبعاً .

شعبان : مفاتيح والسلام ! . . ومجربة على كل قفل . . تراهن ؟

أدهم : أنا لا أراهن ولا أوافق على هذه الحماقة . وأحذرك يا شعبان . اترك هذه المرأة . نحن لسنا من طراز هذه الفئة !

شعبان : أهذه امرأة تترك ؟ ! بذمتك . . ألا يتمناها أى واحد ؟ . . وأنت يا أدهم . . لماذا لا تجرب حظك ؟

أدهم : أنا ؟ ! أنا لا أستطيع أن أعقد صلة بامرأة أشعر أنه لا تربطنى بها وحدة تفكير .

شعبان : تفكير ؟ ! ولماذا تريد عقد صلة تفكير بين رجل وامرأة !

أدهم : وأى صلة تريد عقدها بين رجل وامرأة ؟ !

شعبان : الصلة الطبيعية يا أخى ! أنت تعقد الأمور بدون لازمة !

ومع ذلك ما هى صلة التفكير التى تربط مثلاً . . بينى وبينك ؟ أو بيننا وبين منير بك ؟ !

أدهم : ما يربطنا بمنير بك أنت عارفه . تمويل مشروعنا . . . لا أكثر ولا أقل .. أما ما يربطنى بك أنت، فأنت أيضاً عارفه .

شعبان : لا . أنا غير عارفه .

أدهم : ألا تعرف ما يربطنا من تفكير ؟

شعبان : لا . قل لى ما هو تفكيرنا ؟

أدهم : أتجهل ما هو تفكيرك ؟

شعبان : أنا أسألك عن تفكيرك أنت ؟

أدهم : هذا شيء يحتاج إلى شرح طويل .

شعبان : اشرح لى . . أهو التفكير الذى أدخلك السجن ؟

أدهم : ليس الآن وقت الكلام فى ذلك . . نحن هنا فى مكان عمل . ومن واجبك التركيز فى هذا العمل وحده . . إلا إذا كنت تريد فشل المشروع ، وتشردنا من جديد !

شعبان : لا . . لا . . أعوذ بالله ! أنا ذاهب إلى مكتبى ! إلى العمل ! . . فليحى العمل !

(يخرج سريعاً . . . ويترك أدهم على مكتبه فى انتظار العمل . . .)

الفصل السادس

كان جرس الباب الذى يرن من حين إلى حين مخيبًا للآمال . فى أكثر الأحيان كان رن الجرس بسبب خطأ فى الشقة . وعلى الرغم من اللوحة النحاسية فوق الباب ، فإن كثيرين كانوا يظنون أنها عيادة طبيب أو مكتب محام أو محاسب ولا يكلفون عيونهم مشقة قراءة اللوحة . وكانت مهمة شعبان المضنية أن يضع أصابعهم على اللوحة قائلاً : « هنا بنك . . . بنك » . . . فإذا قرءوا كلمة « القلق » استغربوا وسألوا وابتسموا وانصرفوا . . . ومضت أيام لم يقصدهما زبون . . . وبدأ يلعب فى عبهما الشك وبوادر اليأس ، لولا نشاط منير عاطف المملوء بالتفاؤل . فقد جاء بكهربائى مد سلكًا بين جهاز التسجيل الذى فى حجرته رقم ثلاثة إلى الحجرة الأولى والحجرة الثانية ، حتى يستطيع وهو فى حجرته أن يستمع إلى ما يقوله الزبون الموجود عندهما . كما قام بوضع توصيلة تليفون داخلية على مكاتب أدهم وشعبان ، حتى يستطيع الاتصال بهما وهو جالس إلى مكتبه . ولماذا كل هذه التركيبات والترتيبات ، إلا أن يكون هذا الممول الشجاع واثقًا كل الثقة من حضور زبائن .

وبدأ يعود إليهما الاطمئنان عند ما ظهر خبر طريف عن « بنك القلق » فى الجريدة التى بها متولى سعد . لا شك أنه نشر بإيعاز من منير عاطف أو بماله . فعلى الرغم من صداقة أدهم وزمالته لهذا الصحفى فإنه ما كان يجرؤ على نشر سطر واحد عن مشروع كهذا لو أنه بقى فى حيزه الأول المضحك بتلك الشقة الحقيرة فى درب الطبالى .

لكن هنا فى هذا المكان الجاد بين عيادات الأطباء ومكاتب المحامين والمحاسبين ومحال الخياطات والموضات كل شىء يصبح جديراً بالالتفات . وكان من الطبيعى أن يأتى متولى لزيارة المكان الجديد ويرى ما صارا إليه من نعمة . ومر بالحجرات الثلاث متفقداً . كان ذلك فى غيبة منير بك . ثم جلس يخرج لهما مما فى جرابه الصحفى من أخبار ومعاومات . إنه من طراز أولئك المخبرين الصحفيين الذين ينتقلون بين الأخبار كالنحالة بين الأزهار ، أزهار البرتقال أو البرسيم . لا يلتصق بمبدأ بالذات أو بمذهب . . . ولا يخالط صنفاً واحداً من الناس . فهو مع كل من يمده بخبر . وعند كل من يجد عنده إشاعة أو كأساً من الويسكى . وحينما جاء ذكر منير بك قال إنه كان يسهر عنده من ليلتين . فى شقته بالزمالك . شقة فخمة بها بار أمريكانى عامر بالويسكى الجيد والمزة الطيبة . يقيم فيها مع خليلته . امرأة رومية كانت عاملة مانيكور عند حلاقه . وهى معه من سنوات بعد أن توفيت زوجته بنت أحد أعيان الريف وأم ولديه . وهو لا يرى الآن ولديه ، فأحدهما معيد بكلية هندسة عين شمس وموفد فى بعثة إلى ألمانيا ، والآخر كان محامياً شاباً واعتقل بتهمة الشيوعية قبل ثورة ١٩٥٢ . وهو الآن موظف بشركة شل ومقره الإسكندرية .

وبدا هذا غريباً أن يكون لأسرة عاطف التى تملك نحو ألف فدان فى كفر عنبة منوفية ابن شيوعى ! . . . وربما كان ذلك لتكملة الصورة . فقد كان المرحوم عاطف باشا الجد يرى لذة الهوى والمصلحة فى التنقل ، بين الأحزاب . . . إلى أن استقر فى حزب الملك فؤاد . أما ابنه منير فانضم إلى حزب الوفد . فى حين أن الابن الآخر عادل كان مع حزب الأحرار . وهذا التوزيع نفسه شمل بالطبع تابعيهم من الفلاحين . فكان لا بد للشيخ عبد الصمد أن يكون صوته حرا

دستوريا ويعطيه لعادل بك ، كما لا بد لزوج بنته وهو من فلاحي منير بك أن يكون صوته وفديا ويعطيه لمتبوعه . وبعد أن وزعت الثورة الأراضي على الفلاحين ، ولم يبق لمنير غير مائة فدان ، ظهر بمظهر الراضي المحبذ لهذا الإجراء . المتغني بعدالة الإصلاح الزراعي . وجعل يتحكك بالحزب الواحد الموجود : الاتحاد الاشتراكي . ولما وجد أن انضمامه إليه رسمياً أمر متعذر بحكم القانون اعتبر نفسه منضماً بالعقيدة والرغبة في التعاون . وسعى إلى عقد الصلات مع أمناء الاتحاد والمديرين والمحافظين وكل من له سلطة في القرية .

وقد قربوه بالفعل . وأصبح بيته هناك مفتوحاً للجميع . إنه رجل بجبوح . قال متولي سعد إنه عند ما أراد أن يجري تحقيقه الصحفي عن الاتحاد الاشتراكي نزل عنده هناك في بيته الريفي فأكرمه كل الإكرام وحضر مجلساً له مع بعض الفلاحين المستأجرين لأرضه ، فوجده يشيد لهم بمآثر الثورة . ويقول لواحد منهم : اسمع يا عبد المقصود ، أنا مع الثورة وأحب الثورة . أنا اشتراكي . وكل ما فعلته الثورة خير وعدل وإصلاح . . . لكن يعني بذمتك والشهادة لله كانت أيامنا سيئة ؟ ! . ألم نكن نوزع عليكم الكساوي في المواسم ونذبح الذبائح في الأعياد ونجعل الخير عليكم يعم ؟ ثم يلتفت إلى متولي ويهمس في أذنه أن الثورة المباركة تنفخ في قربة مقطوعة ، لأن الفلاحين غير قديرين على الإنتاج ، وأن الإنتاج الزراعي ساء حاله اليوم وتدهور . . . ثم لا يلبث أن يأتي من يبلغه بأرقام المحاصيل عند المستأجرين لديه تلك السنة ، فإذا هي مرتفعة ، فيلتفت هامساً : « تصور أن هذا الفلاح الماكر كان على أيامنا يتكاسل ويتغافل ، والآن عند ما أصبح المحصول له يكد ويعمل بيديه وأسنانه ! . . . » ثم يفطن إلى نفسه

فيعود حالاً إلى الترنم بأمجاد الثورة . . . لكنه رجل بجبوح . ليس ثقيل الظل . والويسكى عنده جيد والمزة طيبة .

وأراد شعبان أن يجر الكلام إلى مرفت . فهذا الصحفى المتشر لا يمكن أن تخفى عليه خافية . لكن كل ما كان يعلمه متولى عنها لا يعدو ما سبق لشعبان أن عرفه : والدها توفى وكذلك والدتها بعده بقليل . وأنها تقيم مع خالتها العانس وحدهما فى منزلها بالدقى : فيلا بناها والدها وكتبها وأهداها لوالدتها . وقد ورثت عن والدها عمارة فى مصر الجديدة ، علاوة على ما آل إليها من أرض فى كفر عنبة . ووالدها ووالدتها ماتا وهى فى السادسة فتولت خالتها تربيتها وتزويجها . تزوجت فعلاً مرتين وطلقت . المرة الأولى أحد رجال السلك السياسى ذهبت معه إلى باريس ، فلما نقل إلى شيلى تركته يذهب وحده . وطلبت الانفصال عنه . . . وهنا عقب شعبان بقوله : « لها حق . أمثل هذه تذهب إلى شيلى ؟ ! » فرد عليه أدهم قائلاً : « طبعاً لا . . . إنما تذهب إلى درب الطبالى ! » واستطرد متولى يتحدث عن زواجها الثانى من طبيب جراح شاب ناجح . لكنها لم تطق استيقاظه مبكراً ليجرى عملياته فى الثامنة صباحاً . وأعطاها شعبان الحق على طول الخط . . . فالثامنة صباحاً هى بداية النوم اللذيذ عند أصحاب الذوق السليم ! . ولكن الظاهر أن خالتها فاطمة هانم دللتها كثيراً على الرغم من صرامة هذه الخالة وقسوتها فى حق نفسها . فهى لم تفكر فى الزواج ، مكرسة حياتها لرعاية بنت أختها اليتيمة . وشغلت فراغها بالقراءة . تلك هوايتها . على عكس مرفت . لكن لماذا ضحت هذه الخالة بحياتها هذه التضحية من أجل بنت أختها ؟ قال شعبان : يبدو أن فى الأمر سراً لا بد أن يجد له مفتاحاً .

ولاحظ الصحفى الخبيث اهتمام شعبان ، فنظر إليه نظرة ماكرة ،



فهمها أدهم وأسرع يغطى الموقف بقوله إن كل ما يعنيهما من الأمر هو محاولة فهم هذه الطبقة . ما هو موضعها الحقيق فى هذا المجتمع المتغير ؟ . . . وهل المجتمع يتغير حقًا ؟ وفى نظر من يتغير ؟ وإلى أى مدى هذا التغير ؟ وهل هو حقًا تغير حقيقى من الداخل ؟ أو مجرد مظاهر خارجية ؟ ! . . . وهز متولى سعد رأسه واكتفى بذلك . وبدا عليه التعب فجأة . فكل ما يخرج عن دائرة الخبر المجرد يجعله يتثاءب . . . حتى التعليق أو التحليل لخبر من الأخبار يراه شيئًا مملاً لا طاقة له به وسرعان ما يحول مجرى الحديث بنكتة أو قفشة وينهض منصرفًا ، وهكذا نهض سريعًا لينصرف . وترك الزميلين وهو يقول إنه سيعود فى وقت آخر ليعرف ما يستجد من أخبار البنك . . .

وجلسا هما ينتظران كالعادة ظهور الزبون . وامتد بهما الانتظار ، حتى فقد الانتظار نفسه معناه . وكادا ينسيان أنهما ينتظران أحداً أو شيئًا . . .

وإذا بجرس الباب يرن . . . فلم يلتفتا إليه . أو التفتا ولم يصدقا . ولكنه يرن حقًا . . .

المنظر السادس

(أدهم جالس إلى مكتبه جامداً وأمامه شعبان . وجرس الباب يرن ..)

شعبان : أهو يرن حقًا ؟

أدهم : أوتظن أننا نحلم ؟

شعبان : وهل هو زبون حقًا ؟

أدهم : هذا ما سنعرفه عند ما تفتح الباب .
شعبان : وهل أنا الذى سيفتح الباب ؟
أدهم : طبعاً . ومن غيرك ؟
شعبان : ولماذا لا تفتح أنت ؟
أدهم : لأنى أنا المدير .
شعبان : وأنا الصراف .
أدهم : لا يوجد الآن صراف . ألغيت هذه الوظيفة . لأن البك الممول هو الذى يتولى كل الشئون المالية .
شعبان : إذن لا يوجد أيضاً وظيفة مدير .
أدهم : كيف ذلك ؟
شعبان : لأن البك الممول هو الذى يتولى أيضاً الإدارة العامة . وما أنت إلا موظف هنا . مقرك الحجرة رقم واحد .
أدهم : وأنت كذلك على هذا الاعتبار مجرد موظف آخر مقرك الحجرة رقم اثنين .
شعبان : تمام . أى لا فرق بينى وبينك . ولذلك عندما يرن الجرس واحد منا يفتح .
أدهم : أنت . لأنك رقم اثنين ، وأنا رقم واحد . ورقم واحد مفضل على رقم اثنين . . .
شعبان : الرن سكت . يظهر أن الزبون انصرف .
أدهم : طبعاً . ما دمنا أضعنا الوقت فى زحلقة الشغل . كل منا على الآخر . ابتدأنا نعمل شغل موظفى الحكومة .
شعبان : الحق عليك أنت يا أخى . اسمع الكلام الجد . تعال نوزع الاختصاص بيننا بالعدل .

أدهم : وهو كذلك . مسألة الباب . . . الذى يسمع الرن أولا يذهب ويفتح .

شعبان : لا . . . يفتح الله . . . أنت من الآن لن تسمع شيئًا . ستكون دائمًا أطرش !

أدهم : ولماذا لا يكون أنت الذى ستدعى دائمًا الصمم والطرش ؟ ! .

شعبان : أحسن طريقة نترك الباب مفتوحًا . . . وهذا هو المعقول . أيوجد بنك يغلق بابه فى أوقات العمل ؟

أدهم : صدقت . نترك الباب مفتوحًا هذا فعلاً من شيمة البنوك .

شعبان : مسألة الباب حلت . ندخل فى اختصاص العمل . . .

أدهم : اختصاص العمل نتركه لظروفه . فمثلاً إذا دخل عندى زبون فى موضوع عويص لا أسلك فيه أحوله عليك .

شعبان : ومن جهتى نفس الشىء طبعًا .

أدهم : طبعًا . على شرط الذمة والأمانة والنية السليمة . . .

شعبان : بالنسبة للطرفين .

أدهم : اتفقنا .

(جرس الباب يرن . .)

شعبان : الجرس ! . . . أنا متبرع بالفتح هذه المرة لأثبت لك النية السليمة وسأترك الباب مفتوحًا حسب الاتفاق . . .

أدهم : شكراً .

(يذهب شعبان لفتح الباب . . ثم يعود برجل فى نحو الخمسين يخطو بتردد .)

الزبون : مساء الخير !

أدهم : (ينهض مستقبلا) أهلاً وسهلاً . . . تفضل . . . (يقدم له المقعد) شرفت . . . سيجارة ؟ ؟ سجاير يا شعبان !

شعبان : (فى نبرة احتجاج) نعم ؟ ! رجعنا ؟ ! (يخرج فى الحال)
الزبون : لا . متشكر . . . أنا لا أدخن . . .
أدهم : قهوة ؟ . . .
الزبون : لا . . . أرجوك لا لزوم . . . أنا . . . فى الواقع كنت مارًّا فى الشارع وقرأت اللافتة « بنك القلق » . . . ترددت فى الدخول . وفعلاً بعد أن صعدت وضربت الجرس رجعت ونزلت . ثم فكرت قليلاً واستخرت الله ، وصعدت مرة أخرى إليكم . . .
أدهم : خيراً . . .
الزبون : الأمر وما فيه يا سيدى . . . هل أستطيع أن أتكلم عما يقلقنى ؟
أدهم : طبعًا . تفضل . هذا عملنا .
الزبون : ربما وجدت عندكم المشورة . . . لن أطيل. . . بكل اختصار أنا لى ابن فى الثامنة عشرة من عمره . كان مثال الطالب المجتهد . نجح بتفوق وامتياز فى الإعدادية وكان من العشرة الأوائل للقطر كله . وفى هذا العام تقدم إلى الشهادة الثانوية العامة . لكن مع الأسف وقع فى حب فتاة . . . بنت الجيران . وتعلق بها إلى درجة التدله . بل إلى حد الذهول عن نفسه وعن مستقبله . و بالفعل رسب رسوبًا شنيعًا . هو الذى لم يعرف الرسوب قط . . . وهو الآن يعيد السنة . لكن ما يقلقنى هو أنه يعيدها ويعيد معها نفس المأساة . وقد نصحته كثيراً . لكن ما به أقوى من النصح . وهو نفسه مقتنع تمامًا بكل ما أنصح به . وهو أعلم منى بسوء حاله . وأشد شعوراً بأنه يضيع نفسه . ولكنه مستمر . لأنه غير قادر على التخلص مما هو فيه . . .

أدهم : إذن أى كلام معه لا ينفع .

الزبون : لا . . . لا ينفع مطلقاً ... تعبنا من الكلام . قولوا لى ماذا أفعل ؟

أدهم : هون عليك ! . . . أنا أيضاً فى صباى كنت مثل ابنك هذا بالضبط . حدث لى نفس ما حدث له . . . بالحرف . . .

الزبون : وكيف كانت النتيجة ؟

أدهم : كما ترى .

الزبون : أرى على الأقل أنك تحمل شهادة عليا .

أدهم : لا أبداً مع الأسف . لم أفلح فى الدراسة .

الزبون : هذا شئ غير مطمئن .

أدهم : ترى أن حالتى غير مطمئنة ؟

الزبون : العفو . . . أنا لا أقصدك . . . أنا أقصد ابنى .

أدهم : ابنك فاجأه الحب فى وقت غير مناسب . كالبهلوان الذى تفاجئه عطسة الزكام وهو سائر على الحبل !

الزبون : والعمل ؟

أدهم : أمره لله ! . . . وليرحمه المولى عز وجل !

الزبون : ألا يوجد حل ؟ !

أدهم : لعنة الله على الحب وسيرة الحب ! هذا فى الحقيقة ليس من اختصاصى . اذهب إلى الحجرة رقم اثنين !

الزبون : الحجرة رقم اثنين ؟

أدهم : نعم ... صنف الحب ومشتقاته هناك . عند زميلى فى الحجرة الثانية . . . تفضل عنده !

الزبون : (ينهض) شكراً !

(يخرج . . ولا يمضى لحظة حتى يظهر زبون ثان فى الخامسة والثلاثين نشيط الحركات)

الزبون٢ : تسمح ؟ . . .

أدهم : تفضل .

الزبون٢ : أنا كنت فى الحجرة الثانية والأستاذ هناك حولنى على حضرتك هنا .

أدهم : أهلاً وسهلاً . . .

الزبون٢ : الموضوع باختصار أنى قرأت . . .

أدهم : اللافتة التى على الشارع . . .

الزبون٢ : بل الخبر المنشور فى إحدى الجرائد . وأعجبنى أن توجد جهة مختصة بالقلق . الواقع أنا فى غاية القلق . لا بسبب حالة خاصة . بل للحالة العامة التى نعيشها . هذه الرجعية التى حولى ، هذا المجتمع الرجعى الذى أتنفس فيه . . . تصور سيادتك . . . ولا بد أنك لاحظت . . . أبسط شيء . . . برامج الإذاعة والتليفزيون مثلاً . . . تصطبح فيها على شيخ مطمطم وتمسى فيها على شيخ مطمطم . . . ونسمع ونشاهد بين كل فقرة وفقرة ندوات وموضوعات ومناقشات دينية أكل عليها الدهر وشرب . . .

أدهم : ولكن الدين ضرورى لهذا المجتمع . . .

الزبون٢ : التقدم أيضاً ضرورى . وما يقلقنى هو أنى أشعر أنى لا أعيش فى مجتمع تقدمى بالمعنى الحقيقى .

أدهم : هذا شعورك ؟ ! .

الزبون٢ : وأنت سيادتك ألا تشعر نفس الشعور ؟ . . .

أدهم : أحياناً . لكن على كل حال المسألة لا تدعو إلى القلق .

لكن اسمح لى أولاً أسألك لماذا حولتك الحجرة رقم اثنين إلى هنا ؟ !

الزبون٢ : قال لى الأستاذ هناك إن الزندقة بكافة أنواعها من اختصاص سيادتك . . .

أدهم : الزندقة ؟ ! قال لك هذا ؟ !

الزبون٢ : بالحرف الواحد .

أدهم : وهل أنت زنديق ؟

الزبون٢ : وأرحب بهذا الوصف .

أدهم : لكنى أنا . . . لا أرحب أن يقال عنى . . . ولا تؤاخذنى . . .

الزبون٢ : هل أنت مع التقدمية أو الرجعية ؟

أدهم : اسمح لى من فضلك . . . ما هو الذى تريده بالضبط ؟ .

الزبون٢ : أريد القضاء على كل تفكير متخلف ... أريد عملاً حاسماً عنيفاً يفسح الطريق أمام كل فكر تحررى تقدمى . . . إن مستقبل العالم هو فى هذا الاتجاه . . . ويجب أن ينقلب مجتمعنا ونصبغه صبغة جديدة حقيقية . فهمت قصدى ؟ . .

أدهم : لكن كيف ؟ . . . بأى الوسائل ؟

الزبون٢ : بكافة الوسائل . . . المهم قبل كل شىء هو إجراء عملية إيقاظ لعقل المجتمع . . .

أدهم : الموضوع خطير . . .

الزبون٢ : طبعاً .

(جرس التليفون يرن)

أدهم : (يرفع السماعة) ألو . . . أفندم . . . سيادتك ؟ . . . آه سيادتك وصلت من الباب المفتوح . . . سمعت ؟ . . . آه الركوردر . . . و . . . ماذا ؟ . . . آه مفهوم . . . تريده

حالاً . . . وهو كذلك . سأرسله فوراً . . . (يلتفت إلى الزبون ٢) تسمح .

الزبون٢ : نعم . . .

أدهم : (وهو يضع السماعة) تفضل هناك فى الحجرة رقم ٣ .

الزبون٢ : رقم ثلاثة ؟ !

أدهم : نعم . . . الحجرة الثالثة . . . موضوعك يهم رقم ثلاثة . . .

الزبون٢ : شكراً . . .

(يخرج ... ولا يمضى قليل حتى يظهر زبون ثالث فى يده سبحة ...)

الزبون٣ : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ! . . .

أدهم : وعليكم السلام ورحمة الله . . . تفضل !

الزبون٣ : أنا كنت ماراً فى الشارع .

أدهم : مفهوم . وقرأت اللافتة المعلقة .

الزبون٣ : تمام . هذا ما حصل .

أدهم : أفندم ؟

الزبون٣ : قلت أدخل لأزيح عن نفسى الكابوس الجاثم على صدرى .

أدهم : الكابوس ؟

الزبون٣ : نعم . هذا الإلحاد المتفشى فى البلد . . . أنا كل يوم أستيقظ فى الفجر . أتوضأ وأصلى وأستغفر الله لهذا المجتمع الملحد ، الذى نعيش فيه . هذا الجو المتحلل الذى نتنفسه . حتى استبد بى القلق على مصير هذه الأمة المؤمنة . . . تصور يا سيدى الإذاعة مثلاً . . . بين كل أغنية وأغنية أغنية . . . وانظر إلى التليفزيون تجد كل مذيعة ومذيعة وكل مطربة وراقصة مثل لهطة القشدة ، والعياذ بالله ، ما هذه المغريات يا أخى . . . إلى أين نحن مساقون ؟ !

أدهم : أنت فيما يظهر رجل شديد التدين .
الزبون٣ : جداً . وأشعر بمنتهى القلق على مستقبل الدين .
أدهم : الدين بخير يا سيدى . اطمئن .
الزبون٣ : أطمئن ؟ ! كيف يمكن الاطمئنان والبلد بهذا الحال ؟ . . . لا بد من عمل حاسم . . .
أدهم : عمل حاسم ؟ !
الزبون٣ : عمل قوي يزيل من على وجه الأرض هذا الضلال . إن نار الله الموقدة يجب أن تصب صباً على مجتمع بهذا الفجور والإثم والكفر المبين . . .
أدهم : يا ساتر ! . . .
الزبون٣ : هذا هو القلق الذى عندى وعند كافة المؤمنين . . . وأنت لا شك منهم . . . أليس كذلك ؟ . . .
أدهم : طبعاً . لكن . . . على كل حال شئون الدين من اختصاص الحجرة رقم اثنين . . . تسمح تشرف هناك ! . . .
الزبون٣ : الحجرة رقم اثنين ؟
أدهم : نعم . الحجرة المجاورة .
الزبون٣ : وهو كذلك . (ينهض)
(جرس التليفون يرن)
أدهم : (يرفع السماعة) ألو . . . أفندم . . . آه سمعت ؟ . . . أرسله هو أيضاً . . . حاضر . . . سأرسله حالاً . . . (يضع السماعة ويلتفت إلى الزبون ٣) تفضل حضرتك فى الحجرة رقم ثلاثة .
الزبون٣ : قلت لى رقم اثنين .
أدهم : حصل تعديل . موضوعك يهم رقم ثلاثة .

الزبون٣ : وهو كذلك . شكراً . . .
(يخرج . . ولا يلبث أن يدخل شعبان . .)
شعبان : ما هذه الأصناف يا أخي ؟ !
أدهم : ما لها ؟ !
شعبان : أصناف تحير .
أدهم : أصناف المعاملات ! . . . البنك بدأ أعماله بحق وحقيق . . . وأنواع العملة في القلق من كل لون بدأت في الصادر والوارد ؟ . . .
شعبان : لكن أنا بصراحة . . . محتار ولايص في هذه الشغلة !
أدهم : الحال من بعضه ؟ . . .
شعبان : أنت أيضاً لا تجد ما تقوله لهؤلاء الناس ؟ !
أدهم : ولا كلمة مفيدة استطاعت أن تخرج من رأسي . يظهر أن المسألة ليست سهلة كما كنا نتصور ! . . .
شعبان : بالاختصار نظرية البنك ظهر أنها كلام فارغ ! . . .
أدهم : بل ظهر أن دماغنا هو الفارغ !
شعبان : معنى كلامك أننا نقفل البنك ونعود إلى حالة التشرد ؟ !
أدهم : وهل في إمكاننا حتى أن نقفله ؟ الشقة باسمنا لمدة عام . ومرتباتنا مدفوعة مقدماً لمدة شهر . ولم يظهر حتى الآن أن الممول اشتكى من شيء . بالعكس . يظهر أنه هو بدأ يأخذ الشغل بجد ! . . .
شعبان : على رأيك . نعمل إذن ما نقدر عليه والسلام .
أدهم : وهل أنت عملت أي شيء حتى الآن ؟ كل الحكاية زبون وحولته على أنا .
شعبان : وأنت ؟ ألم تحول علي أنا زبونك ؟ !

أدهم : على كل حال منير بك المدول حمل عنا زبونين . . . بناء على طلبه تليفونيّاً ولا بد أنه طلب منك أنت أيضًا . . .

شعبان : لم يحصل بعد .

أدهم : والزبون إياه . . . القلق على غرام ابنه ؟ . . .

شعبان : عندى فى الحجرة . . . وأنا متحير فى شأنه ! . . .

أدهم : ألم يطلبه منك منير بك ؟ . . .

شعبان : أبداً . ولا سأل عنه .

أدهم : يظهر أنها حالة لا تثير اهتمامه !

شعبان : ماذا أقول لهذا الأب المسكين ؟ . . . حب المراهقين هذا لا يقدر عليه إلا الله ! . . .

أدهم : اسمع يا شعبان . . . ألا تذكر أن منير بك كان قد اقترح تعديل الفكرة ؟ . . . وقال لنا دعكم من التركيز على مسألة الحل والعلاج ؟ ! ولا تطالبوا أحداً بالأتعاب ؟

شعبان : نعم . قال ذلك .

أدهم : إذن المهمة أصبحت بسيطة . ما دام الزبون غير مطالب بأتعاب ، ونحن غير مطالبين بتقديم العلاج . . . فلنقصر عملنا على مجرد الاستماع . . .

شعبان : وما الذى يستفيده الزبون ؟

أدهم : يستفيد أنه وجد جماعة متفرغين لسماعه .

شعبان : تظن يعنى . . . أن هذا . . . ،

أدهم : هذا وحده عمل نافع . . . أؤكد لك . . . هناك أحيان كثيرة يضيق فيها صدر الإنسان لكتمان ما فى نفسه . ويريد الكلام بحريته . ويحتاج إلى مجرد شخص واحد يستمع إليه . . .

شعبان : إذا كان على الاستماع هذا شيء نقدر عليه .

أدهم : والآن . . . هيا إلى العمل . . . بكل تفاؤل ! . . .

شعبان : يعني أنا أسكت . والزبون يتكلم . . . وإذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب . . . أي أن الفضة من نصيب الزبون والذهب من نصيبنا ! . . .

أدهم : وهذا هو بالضبط عمل البنك . . . كل بنك !

شعبان : تمام . . . تمام . . . إلى العمل إذن . . .

(يخرج إلى مكتبه . . .)

الفصل السابع

كانت الفيلا التى تقطنها مرفت وخالتها فى الدقى مكدسة بالرياش . ليس فقط لأن مرفت فى زواجها الأخير أضافت أثاثاً إلى أثاث ، ولكن لأنها هى نفسها من رواد المزادات . ما من مزاد مشهور إلا وتوجد فيه ، مع صاحبات لها ممن يبحثن مثلها عن التظاهر ، وعما يضيعن فيه فراغ فترة الصباح . وإن لم تجد أحداً يرافقها ألحت على خالتها فتذهب معها مرغمة . إما إلى مزاد أو سينما أو ملهى من ملاهى الليل أو مباراة من مباريات كرة القدم . لكن هذا لا يحدث إلا نادراً . فهى قلما تعدم معارف . من طرازها يلازمونها فى أكثر الأوقات . . .

فى ذلك الصباح كانت مترددة بين الذهاب إلى النادى تجلس مع شلة الدردشة وبين اللف على الدكاكين . وأمسكت بسماعة التليفون كالعادة تسأل صاحباتها السؤال الروتينى : « إيه البرجرام النهاردة ؟ » . كل ذلك وعين خالتها الجالسة فى الركن ترمقها من فوق صفحة كتاب فى يدها . وتسائل نفسها عن مدى مسئوليتها فى دفع مرفت إلى هذا النوع من الحياة ؟ إنها لا يمكن أن تكون مسئولة عن فشلها فى الزواج . فهى لم تختر لها الأزواج . مرفت نفسها كانت هى التى تختار فى كل مرة . كانت تقول إنها استلطفت وأحبت ولا بد لها من الاقتران بمن أرادت . وبنفس الطريقة تقول بعد ذلك إنها أخطأت وزهدت ولا بد لها من الانفصال عمن تزوجت ! . . . أيكون التدليل هو المسئول ؟ لكن هل كان فى استطاعتها أن لا تدللها ؟ . . هناك فى أعماق نفسها أسباب كثيرة تدعوها إلى تدليل مرفت . لو كانت الأم هى التى تولت

تنشئتها أما كان من الممكن أن تصبح خيراً من ذلك ؟ ربما . . .
لو كانت الأم فى حالة تسمح لها بتولى أمر ابنتها . إن ستاراً كثيفاً بينهما
كان لا بد أن يقوم على أية حال .

لكن هل التنشئة هى وحدها المسئولة ، أو أن شيئاً ما أثر فى
أعصاب هذه البنت منذ تلك الليلة المشئومة ؟ ! ومع ذلك فلا توجد
أى أعراض تدعو إلى استشارة طبيب . ولا ينبغى فتح هذا الباب
حتى لا يكون هناك اضطرار إلى الكشف عن أسرار يجب أن تظل
دائماً فى طى الكتمان . ربما كان المطمئن فى الأمر أن مرفت نفسها
لا تشعر بأى شىء غير طبيعى فى حياتها أو شخصها أو سلوكها .
وإن كان هناك قلق فهو قلق الخالة . إنها تقرأ وتفكر وتلاحظ هذه
الحياة الضائعة التى تجهل مرفت نفسها أنها ضائعة . ولطالما فكرت فى
أن زواجاً ثالثاً قد يصلحها . لكن مرفت مصرة على غلق باب الزواج
نهائياً . حتى باب الحب . لقد عرفت الحب كما تقول بما فيه الكفاية .
هذا لا يمنع من أنها تصادق من حين إلى حين من تستلطفه وتنشئ
معه علاقة ، ثم تتركه إلى غيره وهكذا . . . لكن هذا لم يعد يعنى
من ناحيتها أى ارتباط . لم يعد شىء يربطها بشىء . وهذا هو
ما يخيف خالتها . وإن كان يعزيها قليلاً أن مرفت ليست الوحيدة .
فهى واحدة من ضمن فئة تعيش نفس هذه الحياة . . . غاية اهتماماتها
آخر نكتة وآخر إشاعة وآخر موضة ! حاولت الخالة مرات أن تثبت
قدمى مرفت على أرض صلبة . لكن الجواب كان هز الكتفين ،
كانت تغريها أحياناً بالتشبه بأمها ، وتشير لها إلى صورة الأم فى إطارها
المذهب بالجدار : « كان لأمك مثل أعلى » . هذه الكلمة تبدو الآن
غريبة فى مجتمع هش . ليس بداخله إيمان حقيقى بشىء أكثر من
اقتناص المغانم ! . . .

وهذه الخالة وإن كانت تعيش الآن فى نعمة ، فإنها ما زالت تذكر الطبقة البسيطة التى خرجت منها هى وأختها الكبرى . كان والدهما معاون إدارة المركز . لا يتجاوز مرتبه خمسة عشر جنيهاً . إلا أنه عنى بتربيتهما فى المدارس . كانتا مواظبتين على الدراسة ، دون أن تقعدا عن الكد الذى نشأتا عليه فى شئون المنزل . كل شىء كانتا تقومان به بيديهما . شغل البيت كله من طهو وكنس وغسل وكى فى أوقات الفراغ ، لإراحة أمهما المريضة دائماً . ثم تفصيل الثياب التى تذهبان بها إلى المدرسة . كدح مستمر لم ينقذهما منه إلا المصادفة التى تحدث فى الحواديت . لمح عادل بك أختها الكبرى وهى فى السابعة عشرة بقرب المركز فى انتظار أبيها . راقت فى عينه . وأرادها زوجة له رغم القيامة التى قامت فى أسرته . صمم وانتصر . وبهذا انتقلت الأخت الكبرى إلى حياة جديدة . ولحقت بها أختها فاطمة عندما ماتت أمهما المريضة وتبعها الوالد المتقاعد . منذ ذلك اليوم تم التحول الخطير فى مصير فاطمة .

وليته كان مجرد تحول . لكنه انتهى إلى مأساة . ليست فقط المأساة التى جعلت منها عانساً . لكنها المأساة التى أشعلت هذا البيت كله . ولم تكن مرفت ليلة المأساة قد جاوزت السادسة ، وهى لا يمكن أن تحيط منها إلا بظاهر عابر لا يمس الصميم . وقد أخفيت عنها الحقائق بإحكام . عنها وعن الناس جميعاً . حرصاً على مستقبلها . وهى الآن قد قاربت الثلاثين ، ولا تعرف شيئاً عما حدث أكثر مما أريد لها أن تعرف . كل شىء يسير فى نظرها طبيعياً . لكن خالتها قلقة . وقلقها يشتد يوماً بعد يوم . إلى أن كان يوم خطر لها خاطر ، وهى فى طريقها إلى الخياطة ، وقد وقع نظرها على اللافتة « بنك القلق » . إنها هى الأخرى لم تكن تنظر إليها أول الأمر بعين الجد

وعندما ذهبت مع مرفت إلى الشقة فى المرة الأولى لمقابلة منير بك، لم تحفل بأدهم وشعبان، وهما يقدمان إليها على أنهما شريكان أو مساعدان لمنير فى مشروع من مشاريعه. لكن ما معنى هذا المشروع المقترن بكلمة « القلق » ؟ وأى نوع من القلق ؟ . . . وهل يمكن أن يكون له نفع فى حالة مثل حالتها ؟ . . .

المنظر السابع

(أدهم فى مكتبه . . والباب يدفع)
(يظهر شعبان فى حركة سريعة . .)

شعبان : أنت الذى حولت علىّ فاطمة هانم ؟

أدهم : طبعاً .

شعبان : طبعاً طبعاً . لو كانت مرفت كنت استبقيتها لنفسك . لكن على رأى المثل « لو كان فيها خير ما كان رماها الطير » !

أدهم : دعك من هذه الأفكار السخيفة . أنا حولتها عليك لأنى لا أريد أن أدخل فى مسائل خاصة بهذه الأسرة . ولو كانت هى مرفت ذاتها كنت حولتها عليك كذلك .

شعبان : حقيق ؟

أدهم : ثق من ذلك . والأيام بيننا .

شعبان : فهمت . أنت تتحاشى هذه الأسرة باعتبار أنهم من بلدكم . .

أدهم : افهمها كما تفهمها . المهم ابعدنى عن هذا النوع من الزبائن . وعلى فكرة . . . ما هو الذى تريد أن تعرضه عليك ؟

شعبان : لم أسألها بعد . أنا تركتها الآن فى حجرتى . وأردت أطلب لها قهوة ولكنها رفضت . واستأذنت منها لحظة وجئت إليك . وأنت بالطبع لم تسألها . . .

أدهم : لا . بمجرد أن قالت إن عندها مشكلة خاصة تقلقها لم أجعلها تفتح الموضوع . وقلت لها إنك أنت المختص بالمشكلات الخاصة . ومدحت لها طبعاً فى كفاءتك المزعومة !

شعبان : المزعومة ! . . . على كل حال تشكر . . . وربنا يوفقنى أكون عند حسن ظنك .

أدهم : وحسن ظنها هى .

شعبان : بالطبع . هذا هو الأهم . . . تعرف أنك فى الحقيقة خدمتنى !

أدهم : خدمتك ؟ !

شعبان : بتحويل هذه الست إلىّ أنا . . . إنها هى المفتاح . . .

أدهم : المفتاح ؟ . . .

شعبان : إلى الأخرى . . . ألا تذكر قولى لك إن فى جعبتى مفاتيح لهذه الأمور ؟ اسمع كلام مجرب ! . . . عندما تكون أمام امرأتين متلازمتين ، إحداهما كبيرة والأخرى صغيرة ، وتريد الوصول إلى الصغيرة ، ابدأ بالكبيرة ! . . .

أدهم : تريد أن تقول . . .

شعبان : ولا كلمة الآن . . . هذا سر المهنة ! . . . أتركك الآن لأباشر مهام أعمالى الناجحة بإذن الله . . . إلى اللقاء ؟

أدهم : تصرف بعقل . . . أرجوك !

شعبان : لا تخف . . . أخوك فى منتهى حسن التصرف ! . . .

(يخرج سريعاً . .)

أدهم : ربنا يهديك ! . . .

(يظهر على الباب زبون رابع)

الزبون٤ : ممكن أدخل ؟ . . .

أدهم : تفضل . . . أهلاً وسهلاً !

الزبون٤ : أنا .

أدهم : أفندم . . . فى الخدمة !

الزبون٤ : ضرورى أقدم نفسى ؟

أدهم : لا أبداً . . . هذا غير ضرورى نحن لا نطالب بأى بيانات شخصية . احتفظ باسمك . قدم لنا فقط الموضوع . موضوع القلق الذى عندك ؟ . . .

الزبون٤ : أنا . . . بعضهم نصحنى باستشارة طبيب نفسانى . . . والبعض أكد لى أنى لست مريضًا . . . الحكاية كلها أنى متحمس زيادة عن اللزوم . . .

أدهم : متحمس ؟ ! يا ساتر . . . خير ؟

الزبون٤ : هو حقيقة تحمس عنيف !

أدهم : فى . . . سياسة ؟ !

الزبون٤ : لا . . . لا . . . فى الكرة . . . أنا زملكاوى . أقصد من حزب الزمالك . . .

أدهم : آه . . . الحمد لله ! حزب الزمالك ! . . . أحزاب أهون من أحزاب !

الزبون٤ : ستقول لى وماذا فى ذلك ؟

أدهم : فعلاً . . . ماذا فى ذلك ؟

الزبون٤ : أقول لحضرتك . . . ما من مرة حضرت فيها مباراة بين الزمالك والأهلى إلا وأحدثت كارثة ! . . .

أدهم : كارثة ؟ . . . من أى نوع ؟

الزبون٤ : أشرح لك . وكل هذا والله رغم عنى . لأن المكتوم فى نفسى انفجر !.. حصل مرة أن الزمالك كاد فى الشوط الأخير يصيب الهدف ، لولا اصطدام الكرة بخشبة المرمى . لم أطق . ولم أشعر بنفسى . وإذا يدى التقطت شيئاً لم أفطن إذا كانت عمامة أو كاسكيت ، فوق رأس الشخص الذى بجوارى ، وقذفت بها فى الهواء وسط الملعب . . . وبالطبع حدث هياج حولى وخناقة ، خصوصاً وقد اتضح أن صاحب غطاء الرأس هذا الذى طار فى الهواء هو حيوان أهلاوى . . .

أدهم : بسيطة على كل حال .

الزبون٤ : وفى مرة أخرى تحمست لهدف عظيم أحرزه الزمالك ، فلم أشعر إلا ويدى قد تناولت طفلاً صغيراً من حجر أمه الجالسة بجوارى ورفعته فى الهواء . . .

أدهم : وقذفت به فى الملعب ؟ !

الزبون٤ : لا . من حسن الحظ أدركونى . . . ولكنهم أشبعونى لطماً وشتماً . . . وأنا أصرخ . . . هذا شىء غصب عنى يا ناس !

أدهم : بالطبع .

الزبون٤ : وأخيراً كدت أقتل رجلا !

أدهم : تقتل ؟ !

الزبون٤ : أهلاوى مغفل . . . جعل يناقشنى ويتحدانى ويستفزنى ويقول إن الأهلى هو الأصل وإن الدهن فى العتاق . . . وكلام فارغ من هذا القبيل . . . كان فى جيبى وقتها مطواة كبيرة ، ما أشعر إلا وقد أخرجتها وفتحت سلاحها وهجمت به عليه . . .

أدهم : وطعنته ؟

الزبون٤ : توسط بيننا أولاد الحلال ، ونصحونى أن أعرض نفسى على طبيب . لكن بصرف النظر عن كل شيء !.. هذا الوغد الأهلاوى أما كان يستحق ؟ . . .

أدهم : يستحق لكن . . .

الزبون٤ : لا تواخذنى . . . سهى علىّ أسألك : أنت من أى حزب !. هل أنت زملكاوى أو أهلاوى ؟

أدهم : (بسرعة) زملكاوى طبعاً .

الزبون٤ : إذن أنا شخص طبيعى ؟

أدهم : بكل تأكيد . كل الناس يتحمسون للكرة . . . وما من أحد ، قال إنهم مرضى . كل ما فى الأمر أنك تنفعل قليلا ، وأن هذا الانفعال يضعك أحيانًا فى مواقف محرجة .

الزبون٤ : أنا بغير هذا الانفعال أشعر أن حياتى راكدة . أنا لا أريد الذهاب إلى طبيب ، حتى لا يعطينى مهدئات لأن هذا هو ما سيفعله . تذهب إلى الطبيب فيقول لك توتر أعصاب ، ويكتب لك المهدئ . أنا يا سيدى متحمس . ويجب أن أتحمس لوجهة نظرى . لمبدئى . لعقيدتى . لماذا تريد إطفاء حماسى . . .

أدهم : لا يجوز .

الزبون٤ : قل لى مت أحسن ! لأن هذا موت . . . أن أكتم تحمسى ! أنا طاقة يا سيدى . . . طاقة . . . أريد أن أقف وسط الملعب وأصيح بملء فمى . . .

أدهم : هذا من حقك .

الزبون٤ : ومن حق جميع المشاهدين ، وأنت أيضًا ولا شك تصيح فى كل المباريات .

أدهم : أنا لا أذهب كثيراً إلى المباريات . لى زميل هنا أجدر منى بالخوض معك فى هذا الموضوع . لكنه الآن مشغول .

الزبون٤ : ولماذا لا تذهب ما دمت تقول إنك زملكاوى ؟

أدهم : مشاغلى .

الزبون٤ : لكن المباريات دائماً يوم العطلة الأسبوعية .

أدهم : أنا شخصياً لا يناسبنى الانفعال الشديد .

الزبون٤ : حالتك الصحية ؟

أدهم : شىء كهذا . ولأسباب أخرى !

الزبون٤ : إذن أنت لا تتحمس لشىء ؟

أدهم : التحمس الشديد فيه خطورة .

الزبون٤ : على صحتك . مفهوم لكن . . . حياتك بهذه الطريقة تصبح على وتيرة واحدة . أنت طاقة يا سيدى . . . ماذا تفعل بهذه الطاقة ؟

أدهم : والله فى الواقع إنها . . . إنها أسلم طريقة . . . وأنا معك . . . أنت نبهتنى إلى مسألة حيوية . . . منذ اليوم ستجدنى معك فى كل المباريات . . . ومع استبعاد المطاوى والسكاكين ورمى العمم والأطفال سأكون إلى جوارك أهتف وأصيح بأعلى صوتى . . . هات يدك . . . اتفقنا ؟

الزبون٤ : (يصافحه) اتفقنا .

أدهم : أنت أقنعتنى بمسألة الطاقة هذه . .

الزبون٤ : ألم أقل لك ؟ . . . أنت طاقة مكبوتة يا سيدى .

أدهم : الحمد لله إنك عالجتنى أحسن علاج .

الزبون٤ : يظهر أنى حضرت فى الوقت المناسب .

أدهم : فعلاً . وكان الواجب أعطيك أتعابك .

الزبون٤ : أتعابى ؟
أدهم : بالطبع . ما دمت عالجتنى فأنت بمستحق لأتعاب . لكن مع الأسف العلاج هنا أصبح مجانـًا بالنسبة للطرفين !.
الزبون٤ : أنا لم يخطر ببالى أى أتعاب . ولا حتى أنى سأقدم لك أى خدمة .
أدهم : أنت قدمت لى خدمة جليلة . فعلاً أستطيع إخراج الطاقة التى عندى بهذه الطريقة المأمونة . . . شكراً يا سيدى شكراً .
الزبون٤ : العفو . . . أنا سعيد بهذه النتيجة . . . وأشعر براحة تغمر نفسى . داوم يا سيدى على حضور المباريات . . .
أدهم : سأنفذ نصيحتك بالحرف . . . وسأهتف وأصيح . . .
الزبون٤ : نهتف معـًا ونصيح . . .
أدهم : بملء الأفواه والحناجر .
الزبون٤ : إلى اللقاء فى الملعب .
أدهم : إلى اللقاء ! . . .
(يشيعه إلى الباب . . ويعود إلى مكتبه)
أدهم : (يدخل) زملكاوى . . . أهلاوى . . . زملكاوى . . أهلاوى . .
شعبان : (يدخل) قل لى يا أدهم ! . . .
أدهم : قل لى أنت أولاً . . . أنت زملكاوى أو أهلاوى ؟
شعبان : ما هى المناسبة ؟
أدهم : أجبنى أولاً . . . زملكاوى أو أهلاوى ؟
شعبان : أهلاوى طبعـًا .
أدهم : يا خبر ! . . . أهلاوى ؟ ! الحمد لله خلصت بجلدك !
شعبان : ماذا تقول ؟ . . .

أدهم : كان هنا الآن زبون . . . لو سمعك لكانت مصيبتك ثقيلة !

شعبان : دعنا من هذا ولندخل فى الجد . . فاطمة هانم التى عندى . .

أدهم : مالها ؟ . . .

شعبان : المسألة خاصة بعرفت . وطبعاً هذا شيء يسرنى . . . وبودى أطلب منها أن تجمعنى بعرفت . ولكنى متردد . لأول مرة أتردد . خفت أثير شكوكها . ما رأيك أنت ؟ هل أسير فى خطتى الأولى وأقوى صلتى بفاطمة هانم أولاً . . . أو أنتهز الفرصة وأتصل بعرفت مباشرة . . .

أدهم : رأيى أن تسير فى خطتك الأولى وتقوى صلتك بالخالة . . . هذا أضمن ، لأنك لن تملك عواطفك . وعندئذ ينكشف أمرك بسرعة . وتخسر كل شيء .

شعبان : لك حق . يجب السير خطوة خطوة . . . بحذر شديد . على كل حال عمل علاقة مع فاطمة هانم فيها مكاسب مؤكدة !

أدهم : مع التمسك بالحكمة !

شعبان : إن شاء الله (يخرج مسرعاً) .

(يظهر بالباب زبون خامس فى سن الكهولة . .)

أدهم : تفضل ! . . . أهلاً وسهلاً !

الزبون ٥ : أنا فى الواقع . . . قرأت اللافتة . . .

أدهم : (يشير إلى مقعد) تفضل ! . . . استرح ! . . .

الزبون ٥ : وقبل ذلك كنت قرأت خبراً طريفاً فى إحدى الجرائد . . . وبالطبع كلمة « القلق » لفتت نظرى . . . أنا وإخوانى على القهوة . . . وخصوصاً كلمة « بنك » . . . قلت إن الناس أدركوا أخيراً أن القلق عملة جارية الآن يلزم لها بنك !

أدهم : بدون شك .

الزبونه : أنا يا سيدى الفاضل مثل كل الناس أقرأ الصحف وأسمع الإذاعات ، وأصبح رأسى الآن تطير فيه الصواريخ العابرة للقارات ، وتلف فيه الأقمار الصناعية ، وتقوم الثورات وتدور المعارك ، والبيض يضطهدون السود . والرأسمالية تدمغ جبين كل من أراد التحرر من استغلالها بختم الشيوعية . والكرة الأرضية كلها تنطلق بنا فى الفضاء حول الشمس وفى جوفها قنبلة زمنية . وكلنا نعيش ولا نعرف ماذا سيكون غدنا . كل هذا فى رأسى . وأشرب فى اليوم عشرين فنجان قهوة ، لأضع بها فرامل فى دماغى الطائر ، لكن بدون جدوى . بماذا تشير علىّ فى هذه الحالة يا سيدى ؟

أدهم : سيادتك تشكو إذن من قلق عام ؟

الزبونه : أيوجد الآن قلق عام وقلق خاص ؟ . لقد اختلط هذا بذاك ، وأصبح الواحد منا يتخبط اليوم فى بحر واحد من قلق شامل لا يطاق . ألا توافقنى على ذلك ؟

أدهم : طبعاً أوافقك . أنا نفسى مثلك تماماً . ورأسى هو الآخر انقلب إلى طبق طائر ! . . .

الزبونه : وآخرة هذا الحال ؟

أدهم : هذا يتوقف على نوع عملك . . . ما هو عملك فى الحياة ؟

الزبونه : أنا لا عمل لى . . . عندى منزل موروث . عبارة عن ثلاثة طوابق . أسكن فى طابق ، وأؤجر الطابقين بأربعين جنيهاً بعد التخفيض . تكفينى أنا وزوجتى المدبرة وليس لنا أولاد .

أدهم : أليست لك هواية ؟ . . . الكرة مثلا ؟ . ....

الزبونه : الطاولة وقراءة الصحف فى القهوة . وخبط حجر الطاولة فى الدماغ مثل خبط الأخبار المزعجة سواء بسواء .

أدهم : من رأيى أن تكثر من خبط الطاولة وتقلل من خبط الأخبار !

الزبونه : أهذا هو الحل ؟

أدهم : هذا على كل حال هو الحل عند الشباب اليوم . أغرقوا أنفسهم فى كل بلاد العالم فى خبط الجاز والروك أندرول والخنافس وما شابه ذلك من ألوان الضجيج والحركة العنيفة والأصوات المزعجة ! . . . ليواجهوا خبط الكبار فى ضجيج الحرب والقمع والمؤامرات والمخابرات ! ... صخب عام فى حانة كبرى ، ضمت الكبار والصغار . وإن اختلفت أدوات الزياط وألوان الخمر ! . . .

الزبونه : حانة الكرة الأرضية السكرانة ! . . .

أدهم : ربما كان سبب قلقك أيضاً ناحية خاصة قليلاً . هو هذا المنزل الذى هو عماد حياتك المعيشية . . . ربما خطر بفكرك مثلاً أنه لو زلزلت الأرض من تحته لأى سبب من الأسباب . . .

الزبونه : صدقت . هذا صحيح .

أدهم : أنا أيضاً مثلك . طالما شعرت بالأرض تزلزل تحت قدمى !

الزبونه : هل عندك منزل ؟

أدهم : لا . . . الزلزال عندى من نوع آخر . . .

الزبونه : عندك إذن أطيان ؟

أدهم : ليس عندى إلا هذا البنك القلق !

الزبونه : وكم يدر من الإيراد ؟

أدهم : ولا مليم ! . . .

الزبونه : وكيف تعيش إذن ؟ . . .

أدهم : بالمصادفات .

الزبونه : حياتك إذن غير مستقرة ؟

أدهم : لا يمكن أن تستقر .

الزبونه : أنت إذن فى حالة قلق مستمر .

أدهم : بدون شك .

الزبونه : لهذا إذن فتحت هذا البنك .

أدهم : نعم . لأتعالج . . . بسماع متاعب الآخرين .

الزبونه : حقاً . . . قد يكون فى هذا بعض الراحة لك .

أدهم : أليست حالتى أشد من حالات غيرى ؟

الزبونه : الواقع أنك . . . معذور .

أدهم : أنا على كل حال صابر وصامد . المهم عندى أن أجد وسيلة أخفف بها عن نفسى . . .

الزبونه : أليست لك هواية ؟

أدهم : لا . مع الأسف .

الزبونه : خسارة !.. من رأيى أن تشغل نفسك بهواية . . . إنها خير وسيلة للتخفيف عن النفس .

أدهم : وأين أجد الهواية ؟

الزبونه : هذا سهل جداً . . . تعلم لعب الطاولة ! . . .

أدهم : ومن يعلمنى ؟. . .

الزبونه أنا مستعد أعلمك ! . . .

أدهم : متى ؟ . . .

الزبون٥ : فى أى وقت يعجبك . . . مر علينا بالقهوة . . . قهوة البودجا تجدنى هناك دائمـًا . . . صباحـًا ومساء . . .

أدهم : وهو كذلك . . . اتفقنا .

الزبون٥ : اتفقنا . . . أنا فى انتظارك . . . إلى اللقاء . . .

(ينهض ويخرج)

أدهم : إلى اللقاء . . . قريبـًا جدًّا إن شاء الله . . . (يشيعه إلى الباب)

أدهم : (يعود إلى مكانه مترنماً) شيش جهار . . . شيش بيش !

(يظهر بالباب زبون سادس رجل فى زى العمال . .)

أدهم : تفضل . . . أهلاً وسهلاً !

الزبون٦ : أنا . . . أقدر أتكلم مع حضرتك . . .

أدهم : طبعـًا . . . تفضل . . . استرح (يشير إلى المقعد)

الزبون٦ : أنا عندى حالة قلق من أسبوع . . . بسبب ظرف أحب أقول لحضرتك عنه . . . وأستشيركم . . .

أدهم : أنا فى الخدمة . . . تفضل !

الزبون٦ : الأمر وما فيه أنى عامل فى مصنع نسيج بشبرا . لى زميل فى العمل طبعه الإهمال والكلفتة . . . فتلة غزل تتعقد يتركها . . نصحته ، ولكنه يقول لى « اسكت ولا يهمك » . وأخيراً لمحته وهو يكسر سرًّا أحد أسنان المشط الذى يمر فيه الغزل حتى تنفذ منه العقد التى يتركها . . . وهنا لم يستطع ضميرى السكوت فهددته بكشف أمره فاتهمنى بالوشاية . ماذا أفعل ؟ . . . أسكت ويظل الإنتاج ينخفض مستواه أو أشكوه فأكون قد وشيت بزميل ؟

أدهم : وزميلك هذا فاقد الذمة فى العمل إلى هذا الحد ؟ !

الزبون٦ : إنه يقول إن عقدة أو عقدتين لا تهم .
أدهم : وأنت ؟ . لماذا لم تفعل مثله ؟
الزبون٦ : لا أستطيع . العمل عندى لا بد يأخذ حقه . . . والدى المريض فى البيت . . . أنا الآن الذى أعوله . . . كان صانع كراسى . وكان يتعب فى الكرسى ويقول لى وأنا صغير : إتقان العمل متعة وفريضة . متعة لنفسك وفريضة أمرنا بها ربنا . والنبي عليه الصلاة والسلام قال : « إن العبد إذا عمل عملاً أحب الله أن يتقنه » .
أدهم : هذا كلام جميل .
الزبون٦ : تمام . ولو عملنا به كلنا لما كان هذا حالنا . وهو لا يكلفنا شيئاً كثيراً .
أدهم : قل لزميلك !
الزبون٦ : قلت له . ولكنه كان يدير لى ظهره وينغمس مع زملاء آخرين يتناقشون .
أدهم : يتناقشون فى ماذا ؟ . . .
الزبون٦ : فى الأرباح .
أدهم : الأرباح ؟ . . .
الزبون٦ : نعم مواعيد صرفها والأنصبة التى ستوزع والنسب . وكلام من هذا القبيل .
أدهم : وهل الكل سيحصل على نفس الأرباح ؟ . . . المتقن والمفسد
الزبون٦ : من الصعب فى كل الأحوال إمكان فرز هذا من ذاك . لكن كل واحد وضميره .
أدهم : ضميره ؟ ! .. وإذا كان الضمير مصنوعاً من المطاط ؟ . . .
الزبون٦ : المطاط ؟ !

أدهم : مادة خام متوفرة عندنا ولله الحمد !

الزبون٦ : فى هذه الحالة ماذا يكون موقفى ؟ . . . أسكت ؟ !

أدهم : تسألنى أنا ؟ . . . اذهب واكشف أمره ! . . .

الزبون٦ : وأتعرض للإشاعة أنى من الوشاة ؟ ! .. لا أحب أن أوصف بالواشى الخسيس الذى لا يقدر الزمالة والروح الاشتراكية . هكذا سيقال عنى . . . شخص غير اشتراكى !

أدهم : اسمع . . . أنت رجل منتج . . . وتفهم فى الإنتاج . . . ومستوى الإنتاج أكثر منى . . . أنا شخصياً ليس لى أى قيمة إنتاجية . أنا أقرب إلى أن أكون من العاطلين ... من الكسالى . . . من الطفيليات .

الزبون٦ : أنت يا سيدى ؟ !

أدهم : نعم أنا . . . ولا يغرك أنى جالس إلى مكتب وأمامى تليفون !

الزبون٦ : لا تقل هذا ! . . .

أدهم : هذا هو الواقع . . . ما أنا إلا واحد من ستين فى المائة من السكان لا يفعلون شيئاً . أو على الأقل لا ينتجون إنتاجاً حقيقياً . ويعيشون على جيب الأربعين فى المائة الأخرى . ومن هذه الأربعين فى المائة خمسة فى المائة معهم نقود ولا عمل لهم إطلاقاً . يتبقى خمسة وثلاثون فى المائة يعملون وينتجون . منهم خمسة وعشرون فى المائة ينتجون بغير إتقان . يكون الباقى أخيراً بعد كل ذلك عشرة فى المائة فقط من السكان هى التى تعمل وتنتج بإتقان .

الزبون٦ : عشرة فى المائة فقط ؟

أدهم : فقط . عشرة فى المائة هى التى ينطبق عليها الحديث الشريف

الذى ذكرته أنت الآن : « إن العبد إذا عمل عملاً أحب الله أن يتقنه » .

الزبون٦ : هذا غير مصدق !

أدهم : طبعاً أنت لا تصدق . لكن خذ عندك مثلاً هذه الشقة التى نحن فيها . إنها تحتوى على ثلاث حجرات فيها ثلاثة أشخاص يمكن أن تقول إن إنتاجهم للبلد صفر فى المائة . فإذا مررت على كل شقق هذه العمارة وتحريت عن سكانها ما وجدت أكثر من عشرة فى المائة ينتجون بإخلاص وإتقان . والباقى عالة عليهم . أو يعملون أعمالاً تافهة ، غير منتجة ، أو على قدر المزاج . حتى بواب العمارة تراه يعمل ساعة ويزوغ ساعتين إلى المقهى المجاور يشرب الشاى ويدردش كلمتين ! . . .

الزبون٦ : لكن . . . هذه النسبة يجب أن ترفع . . .

أدهم : إذا رفعت هذه النسبة . . . ولو عشرة فى المائة أخرى . . . فإن بلادنا تتغير . . . تغيراً حقيقياً . . . لا يمكن تصور مداه ولا مستواه ! . . .

الزبون٦ : أزمتنا إذن أزمة إتقان .

أدهم : أنت طبعاً أدرى .

الزبون٦ : وأزمة أخلاق .

أدهم : هذا يؤدى إلى ذاك .

الزبون٦ : صحيح . أزمة الإتقان مرجعها إلى أزمة الأخلاق .

أدهم : نعم . مرجعها ما فى الداخل . ما فى داخلنا ... وأخيراً . . . ماذا نويت ؟ . . .

الزبون٦ : أنا جئت أستشيرك ؟

أدهم : أظنك أدركت أنى لا أستطيع أن أشير عليك . . . أنت قلتها . . . المسألة مسألة أخلاق . . . وأنا أخلاقى كما قلت لك ليست كما يجب . . . تصرف أنت إذن حسب ما ترضى عنه أخلاقك ! . . .

الزبون٦ : (ينهض) وهو كذلك . . . شكراً ! . . .

(يصافح أدهم ويخرج)

شعبان : (يدخل هاتفاً) يا للنسوان ! . . المرأة هى المرأة فى كل سن وكل زمان ! . . .

أدهم : ماذا حصل ؟ . . .

شعبان : فاطمة هانم . . .

أدهم : نجحت معها ؟

شعبان : وأى نجاح ! . . .

أدهم : تكلم بدون مبالغة ولا مغالاة ولا فشر ولا معر ! . . . قل ما حصل بموضوعية تامة ! . . .

شعبان : بموضوعية تامة أقول لك إنى أفهمتها أن أمر مرفت غير مقلق . لأنها واجهت حظها مرتين ووضعها طبيعى ، لكن القلق الحقيقى يجب أن يكون عليها هى . وأن الإصرار على حياتها هذه القاسية الصارمة ، مع أنها لم تزل فيها حيوية ونضارة ، هو الذى يجب التفكير فيه .

أدهم : واقتنعت ؟

شعبان : هى تركتنى وهى مشغولة البال بكلامى . ووعدت بالاتصال بى مرة أخرى ، عند ما طلبت إليها ذلك .

أدهم : وهل هذا هو كل النجاح ؟

شعبان : طبعاً ، لا تنتظر من سيدة فى مركزها أن تهتز بسرعة . . .

يكفى أن ألاحظ ، وأنا الخبير فى هذه المسائل ، أن شيئاً من الاحمرار قد دب فى وجنتيها . . .

أدهم : على كل حال المهم أن تصرفاتك تكون على مستوى رفيع .

شعبان : مستوى رفيع ؟

أدهم : أنا عارفك وعارف أساليبك ، وهى فى ظروفنا الحاضرة تحتاج إلى شىء من التهذيب .

شعبان : اسمع يا أدهم . . .

أدهم : اصبر حتى أوضح لك . . .

شعبان : أنا لا أصبر على كلامك الفارغ . أنا حر فى أسلوب عملى . وأنت حر فى أسلوب عملك . لا تتدخل فى شغلى ولا أتدخل فى شغلك ! . . .

أدهم : شغلى وشغلك ؟ ! . أهذا الذى تفعله وأفعله اسمه شغل ؟ !

شعبان : وما اسمه إذن ؟ !

أدهم : بينى وبينك . . بذمتك وضميرك . . من أنت ومن أنا ؟

شعبان : يعنى إيه ؟ !

أدهم : يعنى . . ماذا نساوى ؟

شعبان : نساوى ؟ ! أصحاب بنك يا أخى !

أدهم : بنك القلق ! . . قل لى يا شعبان . . بصراحة . . أنت تعرف القلق ؟

شعبان : وهل هذا سؤال ؟ ! شىء نشتغل فيه ولا أعرفه ؟ !

أدهم : دعك من حكاية الشغل هذه . . أنا أسألك باعتبارك إنساناً ومواطناً . . يعنى بصفتك بنى آدم . . هل سبق لك أن شعرت حقاً بالقلق ؟

شعبان : طبعاً يا أخى . . وإلا ما كنت فكرت فى إنشاء بنك بأكمله

من أجله ! .

أدهم : أنت لم تفكر فى ذلك . أنا صاحب الفكرة .

شعبان : وأنا شريكك . شريك مؤسس .

أدهم : فليكن . . هل تعتبر أن هذا عمل حقيق ؟

شعبان : بكل تأكيد .

أدهم : اسمح لى أشك .

شعبان : ما هذا التخريف ؟ . تشك الآن بعد أن أصبح حقيقة واقعة . . له مكاتب وتليفونات وشقة مؤجرة باسمنا . وزباين يدخلون ويخرجون ؟ . .

أدهم : يدخلون ويخرجون !

شعبان : بدأ النشاط يدب فى البنك . . ماذا تريد أكثر من ذلك ؟ . . ألم تكن هذه هى أحلامنا ؟ . . ها هى الأحلام تحققت .

أدهم : بودى أن أصيح صيحة فى هذا البنك . . يسمعها كل من فى الشارع . .

شعبان : لا . . أرجوك . . اعقل !

(يظهر بالباب زبون سابع أنيق فى فه بيبة . .)

الزبون٧ : تسمح ؟

أدهم : (ناهضاً) تفضل . . . تفضل أهلاً وسهلاً ! . .

شعبان : أذهب أنا إلى حجرتى (ينسحب خارجاً) .

أدهم : (يقدم المقعد للزبون) أهلاً وسهلاً ! . .

الزبون٧ : اسم طريف « بنك القلق » وإن كنت لا أعرف تماماً ما يرمى إليه . . ولذلك جئت أستعلم . .

أدهم : الفكرة باختصار أننا هنا نتيح لكل من عنده قلق من شىء أن يفضى به . . ربما كان فى مجرد الإفضاء راحة لنفسه .

الزبون٧ : فكرة طيبة . هل نجحت ؟

أدهم : لا بأس .

الزبون٧ : وهل يمكن أن يفضى الإنسان بكل ما يريد ؟

أدهم : ولم لا ؟ . .

الزبون٧ : أعتقد أن هذا متعذر فى بعض الأحيان .

أدهم : طبعاً . أحياناً .

الزبون٧ : لو كان الإنسان يستطيع أن يطلق صوته ويصيح بما فى نفسه . . لكن هذا الآن غير ممكن . .

أدهم : ما هو المانع ؟ . . سيادتك مثلاً . . هل عندك شىء تريد أن تفضى به ؟ . .

الزبون٧ : أنا لا أتكلم عن نفسى . أنا أتكلم عموماً . . كل إنسان فى حاجة إلى أن يتكلم وأن يصيح وأن يوافق وأن يعارض . .

أدهم : إذن خذ راحتك ! . . أنت مطلق الحرية تتكلم وتصيح وتوافق وتعارض كما تشاء .

الزبون٧ : أين ذلك ؟

أدهم : هنا فى هذه الحجرة .

الزبون٧ : آه . . لا . . أنا لا أقصد هذا . . أنا أقصد بصفة عامة . . أنت فاهمنى طبعاً .

أدهم : طبعاً فاهمك . . تريد أن تصيح . أنا أحياناً أشعر برغبة ملحة فى الصياح .

الزبون٧ : حقاً ؟ !

أدهم : بدون شك . وأشعر برغبة عارمة فى أن أعارض أى رأى وأشاكس أى فكرة وأشاغب أى إنسان . . بل إنى عندما لا أجد شيئاً أعارضه ، أعارض أفكارى أنا ذاتها . .

الزبون٧ : طبعـًا . . مفهوم . . الإنسان حيوان ثرثار قارض للأفكار . .

أدهم : قارض للأفكار ؟ !

الزبون٧ : مثل الفأر . . الفأر حيوان قارض . . لا بد أن يقرض شيئًا . . أحيانًا قطعة خشب . . لمجرد استخدام جهازه القارض ، وهو أسنانه . . الإنسان أيضًا لا بد من استخدامه جهازه القارض ، وهو تفكيره . وكما قلت أنت عندما لا يجد شيئًا فإنه يقرض أفكاره ذاتها . . ويجب أن يسمع لقرضه صوتًا فى صورة صياح . .

أدهم : فعلاً . . هذا يحدث أحيانًا .

الزبون٧ : هل تعرف حديقة هايد بارك فى لندن ؟

أدهم : سمعت عنها .

الزبون٧ : كان يحلو لى دائمًا عند ما كنت هناك أن أمشى فى هذه الحديقة وأصغى إلى صيحات الخطباء المنطلقة بلا قيود فى أرجائها . .

أدهم : حديقة الحيوانات الثرثارة القارضة للأفكار .

الزبون٧ : بالضبط . . أسبق لك الذهاب إلى هناك ؟ . .

أدهم : لا .

الزبون٧ : لو سمعت ما يقال فى هايد بارك لدهشت . . واحد يصيح مطالبًا بفصل أسكتلندة عن إنجلترا . وواحد يطالب بطرد الأسرة المالكة . وواحد يطالب بتصفية المستعمرات . وواحد يريد تأميم الممتلكات . وواحد يشيد بالإمبراطورية . وآخر يريد تدمير الأسلحة الذرية . . وهلم جرًا . .

أدهم : مثل هذه الحديقة لا يمكن أن توجد إلا فى إنجلترا ، لأن الله أنعم على الإنجليز بنعمتين : الأولى البرود الإنجليزى

والثانية أنهم يقولون ما لا يفعلون !

الزبون٧ : ربما . . لكن . .

أدهم : لكن ماذا ؟ . .

الزبون٧ : لكن اعترف معى أن فكرة إيجاد مكان للتنفيس . .

أدهم : منطقة حرة للصياح ؟

الزبون٧ : إذا شئت .

أدهم : رئة يخرج منها الزفير الفاسد !

الزبون٧ : خير من أن يكتم .

أدهم : هذه هي جوهر فكرة هذا البنك .

الزبون٧ : نعم . ولكنى أقصد . . شيئًا على نطاق أوسع . .

أدهم : تقصد . . .

الزبون٧ : نعم .

أدهم : تقصد ماذا ؟

الزبون٧ : أظنك فهمت . .

أدهم : أنا ! لا . لا . لم أفهم شيئًا . .

(جرس التليفون يرن . .)

أدهم : (يسرع إلى رفع السماعة) آلو . . نعم . . آه . . تريد إرساله حالاً . . حاضر . . سأرسله فى الحال . . (يضع السماعة ويلتفت إلى الزبون السابع) تسمح تمر على الحجرة رقم ثلاثة !

الزبون٧ : الحجرة رقم ثلاثة ؟ . .

أدهم : نعم . الحجرة الثالثة .. موضوعك يظهر أنه يهمهم هناك . .

الزبون٧ : (ينهض) شكراً !

أدهم : مع السلامة !

(ويشيعه إلى الباب . . ويعود ليضع رأسه بين كفيه . .)

الفصل الثامن

لم يلاحظ أحد التغير الطفيف الذى طرأ على فاطمة هانم . ولم يعر أحد التفاتاً إلى التليفون الذى يطلبها الآن باستمرار فى كل يوم تقريباً ! . . وفى عصر ذات يوم خرجت فاطمة وركبت سيارة أجرة أوصلتها إلى مقهى « الجميزة » على شاطئ النيل ، دخلت ووقفت لحظة بالعتبة ، وإذا شعبان الجالس إلى إحدى الموائد قد نهض وأشار إليها فأقبلت نحوه وجلست . وأمر لها بعصير الليمون الذى طلبته . ثم أخذ يرحب بها بعبارات ناعمة مهذبة . . كان فى مكالماته التليفونية المتلاحقة يحاول إظهار اهتمامه بأمرها وصحتها ومزاجها ، ثم يدس بضع كلمات متحفظة توحى بالإعجاب وهى لا تظهر له أنها فهمت . وأخيراً رجا منها أن تسمح له بلقاء على انفراد فى مكان آخر غير المكتب . وصدته فى أول الأمر بلطف . لكنها مع إلحاحه قبلت . لا لشىء إلا لتطلعه على ما قد يجهل من وضعها .

وكان هذا اللقاء الذى اتفق عليه فى هذا المقهى المنعزل . . رشفت رشفة من عصير الليمون . وتشاغلت بالنظر إلى قارب صيد يقترب من الشط ، حتى لا تقابل عينها عينه التى أحست أنها مصوبة إلى وجهها وشعرها ونحرها . وتدافعت فى رأسها الأفكار ، وتماسكت وتحفزت كالمقبل على هجوم . ثم التفتت إليه فجأة ، وقالت بلهجة حاسمة : « اسمع يا أستاذ شعبان . لا تحاول أن تقنعنى أن شخصى وحده هو الذى يهمك . أنا لست صغيرة ولا ساذجة حتى أصدق ذلك ، وأنا ما جئت هنا اليوم إلا لأوضح لك كل شىء حتى تكون

على علم تام » . . لقد كانت طول الأيام الماضية تقاب الأمر على وجوهه . وتسأل نفسها فى حيدة دقيقة عما يدفع هذا الرجل الذى يصغرها بسنوات إلى أن يهتم بها هذا الاهتمام ويلاحقها هذه الملاحقة ؟ ما من سبب فى نظرها إلا اعتقاده أنها غنية . وأنها فرصة سانحة لمثله أن يتزوج امرأة ثرية ، ولكن أكبر منه سناً . أو على الأقل إن لم يكن فى نيته زواج أن يغريها ويبتز منها الأموال . ما من باعث غير هذا . فإذا عرف الحقيقة . . إذا عرف أنها لا تملك شيئاً ، إلا مصروف يد ، لا يعدو جنيهات قليلة . . تتقاضاه من مرفت لحوائجها العادية ، علاوة على الكسوة السنوية البسيطة التى تتكفل بها مرفت أيضاً — وهى لا تتعدى بضعة فساتين تفصل لها على هامش فساتين مرفت العديدة عند خياطتها — إذا عرف أنها ليست أكثر من شبه مربية وحاضنة ممتازة لبنت شقيقتها ، وأنه ليس لها مركز فى الحياة غير هذا . . إذا عرف ذلك عنها فما هو الشىء المغرى فيها ؟ . . .

واجهته بصراحة بكل هذه المعلومات . وأطلعته على تاريخ أسرتها المتواضعة فى الريف . وأكدت له أن ما تملكه هى من نقود ربما كان أقل مما يملكه هو . . كان يصغى إلى كل هذا وهو يبتسم . ولم يحدث أى تغيير فى أساريره . وظلت نظراته إليها نفس النظرات . وعندما أرادت أن تنهض وتنصرف بعد أن ألقت إليه بكل ما عندها استبقاها . وتوسل إليها أن تجلس ، وقال لها بصوت يسيل عذوبة : « كل ما قلت لى لا دخل له فى الموضوع » . . فبدا عليها شىء من الدهشة وقالت له : « ما هو دافعك الآن إذن ؟ » فاستجمع شعبان كل شجاعته وكل قوة تجاريبه المختزنة ، وهجم عليها بكلمة صريحة واحدة ، كأنها طلقة مسدس واحدة فى الصميم : « السكس ، الجنس ! » . . فبهتت لحظة . ثم حملقت فيه ، وقد تورد وجهها . ثم انتفضت ونهضت

وتركته وخرجت من المقهى مسرعة دون أن تلفظ حرفًا . .

ولبث شعبان وحده لحظة . وقد أشعل سيجارة وأخذ منها نفسًا بمنتهى الارتياح . شخص آخر غيره لا تجربة له كان يتملكه اليأس . ولكنه الصياد الماهر الذى لا يفزعه هرب السمكة ، إنها إنما هربت والطعم فى جوفها . فليترك لها الوقت الكافى قبل أن يحرك طرف الخيط الذى فى أصبعه . . وكان قارب الصيد فى النيل قد دنا وأصبح من فيه على مرمى بصره . . قارب لا يبلغ طوله مترين يعيش داخله سبعة أشخاص ، حول حلة صغيرة فوق موقد نار : الصياد وامرأته وأربعة أطفال وخامس رضيع متعلق بثديها ، فضلاً عن سادس فى الطريق يبشر به بطنها المملوء . . أسرة على سطح الماء ذات عدد عديد . دود على عود . هى فى واد وراديو ترانزستور فى واد آخر فوق مائدة قريبة يجلس إليها رجل منفرد يقرأ رواية بوليسية تاركًا الراديو مفتوحًا يدش ويدش بكلام كثير عن النسل وتنظيم الحمل ! . .

وقد يكون لهؤلاء عذرهم . لكن ما عذر تلك الأسرة الأخرى المشابهة فى العدد المرتفعة فى المستوى المجتمعة حول مائدة أخرى بقربه : سيدة بدينة حبلى هى الأخرى وحولها أطفال عديدون فى يد كل منهم كعكة سميط وأمامهم زجاجات كوكاكولا ، وهم يتصايحون فى طلب بائع اللب والفول السودانى . وهذه الأم الأرنبة قد صدع دماغها فيما يظهر حديث النسل والحمل وزيادة الاستهلاك ، فأدارت مفتاح الراديو الذى فى يدها على موجة أخرى ، وجعلت تهز رأسها طربًا على نغمة : « حبك نار . . نار يا حبيبى نار » . .

ولم يجد شعبان ما يفعله بعد ذلك فدفع الحساب ونهض منصرفًا ، وهو يتخيل ما يمكن أن يقع الآن فى نفس فاطمة . لقد بدا عليها فعلاً أنها فوجئت بصدمة . لقد انصرفت وهى أقرب إلى أن تكون غاضبة

غضبـًا لا يمكن إصلاحه . والواقع أنها خرجت من المقهى وهى فى شبه ذهول.. لم تشعر إلا وهى تقفز إلى سيارة تاكسى وتعود إلى البيت .. ودخلت توًّا إلى حجرتها وارتمت على مقعد وهى تردد هامسة : « قلة أدب ، وقاحة ! » . ثم هدأت قليلاً وقامت تخلع ملابسها . وعند ما انكشف بعض جسمها عاريـًا ، تطلعت على الرغم منها فى شبه حركة غريزية إلى المرآة أمامها ، وتفحصت أعضاءها بنظرة لم تحدث منها قبل ذلك . ثم فطنت سريعـًا إلى نفسها ، وابتعدت عن المرآة ، وبادرت تغطى جسمها وترتدى ثيابها المنزلية .

وتركت حجرتها وذهبت إلى مرفت . فوجدتها مشغولة بصبغ أظافرها بأحدث لون . ولم تسألها مرفت أين كانت ولا متى عادت . لم يكن من عادة إحداهما سؤال الأخرى مثل هذه الأسئلة . . فقد لاحظت مرفت منذ وفاة أمها أن خالتها تتغيب أحيانـًا ليلة من ليالى الأسبوع . على الأخص من مساء الخميس إلى مساء الجمعة . ولا تدرى سر ذلك . سألتها ذات مرة فأجابتها إجابة غامضة أنها تزور إحدى قريباتها . ولم تسألها بعد ذلك أبداً ، فى أى شأن من شئونها الخاصة . واكتفت مرفت فى ذلك اليوم بأن مدت أصابعها إلى خالتها قائلة : « ما رأيك فى هذا اللون ؟ » . . فأجابتها وهى ساهمة : « حلو » . ورن جرس التليفون ، فبادرت فاطمة إلى السماعة باهتمام ظاهر . لكنها وجدت غير ما توقعت . صوت آخر لرجل يطلب مرفت . ولم تتحرك مرفت . قالت لها بغير مبالاة وهى تنظر إلى أصابعها التى ما زالت رطبة من الصبغة : « قولى له يطلبنى بعد ساعة » . ثم استطردت قائلة : « شاب لطيف عرفناه أخيراً فى الشلة » .

وأرادت فاطمة أن تقول لها : « هل هذا حب جديد . . علاقة جديدة . . وإلى متى » . لكن السؤال انحبس فى ذهنها ، ثم انقلب

سؤالاً موجهاً إليها هى ذاتها : « لماذا القلق على مرفت ؟ ولماذا أسمى هذا ضياعاً ؟ ! وما الضرر أن تستمتع بحياتها كما تشاء ، ما دامت فرصة الاستمتاع قد واتتها .! أكان يجب عليها أن ترفض ؟ . . وماذا بعد الرفض ؟ ! » . .

مر يومان ، وهى تهرع إلى كل رنة تليفون . وفى اليوم الثالث كان المتكلم شعبان . تحدث بصوت أتقن تمثيل تهدجه واضطرابه . قال إنه يأسف ويعتذر . ويتوسل إليها أن تتيح له فرصة لقائها مرة أخرى فى نفس المكان والموعد ، ليشرح لها حقيقة موقفه . وأجابته بصوت حاولت هى أيضاً أن تتقن فيه الاتزان : إنها لا ترى ضرورة لأسف أو اعتذار ، وكذلك لا ترى نفس الضرورة للقاء آخر . لكنه أخذ يلح . وكانت فى قرارة نفسها تنتظر منه هذا الإلحاح ، لتزداد اقتناعاً . أكد لها أنه لم ينم منذ ذلك اليوم ، لاعتقاده أنه جرح شعورها . وهو لن يستريح حتى يطالع الصلح بنفسه على محياها . . وأخيراً قبلت ووعدت .

وفى الموعد المحدد ذهبت . لكن بفستانها الجديد ، وبشىء من أحمر خفيف على الشفتين ، وتوضيبة شعر أجهدتها أمام المرآة لتبدو فيها كما تشتهى . . وإلى نفس المائدة جلسا معاً . وهو يزحزح مقعده قليلا قليلا ليقترب منها . ولاحظت هى ولم تمانع . وقد أراد أن يسحب كلمته التى صدمتها ، وأن يفسرها تفسيراً مهذباً بريئاً — لكنها فى أعماقها كانت تريد العكس . كانت تريد منه تفسيراً يزيدها اقتناعاً . هل الجنس أو « السكس » وصف لعلاقة يمكن حقاً أن تقوم بينهما ؟ أما زال فيها شىء يشتهى ؟ . . ولم يفته بإحساسه المدرب مرماها الخفى . فقال لها : ليس هناك أصفى لحباً ولا أشهى منظراً من خفقة شمعة يظنون أنها ذبلت ! . . وأنه لا بد من خبير أو بصير ليقتنص هذه اللحظة الفريدة

ويستمتع بها . . لكن ليس من السهل على امرأة عاشت حياة طويلة بهذه الصرامة أن تتبذل دفعة واحدة . حتى وإن اشتهت .

وأدرك شعبان هذه العقبة . فطن تماماً إلى موقفها وإلى ما يعتمل فى نفسها . إنها تريد ولا تجرؤ . يجب أن يعالج الأمور بدقة وحذر مع مثل هذه السيدة المحترمة . لقد فهم الآن كل منهما الآخر ، وما يريده الآخر . بقيت الخطوة التالية . وهل يقترح عليها كأساً تفرفشها وتحل عقدة وقارها ؟ فليحاول . . وهم بأن يصفق للجرسون . لكنها منعته . قالت إنها فهمت مراده . ولا حاجة معها لمثل هذه الوسائل . إنها الآن ليست طفلة . وعندما تقتنع بشىء فإنها تفعله . على أن هذا المكان ليس بالمكان المناسب للقائهما .

وأدرك شعبان صواب الملاحظة . حقاً أين يجتمع بها إذا أرادا الخلوة ؟ . . لا بد إذن من البحث عن مكان لائق . . ولعنة الله على معارفه الحثالة ، ومستواهم الواطى . ليس فيهم واحد من أولئك الذين يملكون السيارة والجارسونييرة . وتلفتت فاطمة حولها كمن أزعجه تيار بارد فى الظهر ، من نظرات الجالسين على الموائد . . وفهم شعبان فقال مؤيداً لما لم تقله : « فعلا . . مكان مكشوف غير مناسب » . . فهزت رأسها بالإيجاب . وتحركت للانصراف وهى تقول له بابتسامة مشجعة : « اتصل بى غداً بالتليفون ! » .

المنظر الثامن

(شعبان يدخل على أدهم فى مكتبه
دخول الظافرين)

شعبان : (هاتفاً) وصلنا . .
أدهم : وصلنا ! ! وصلنا إلى ماذا ؟
شعبان : إلى الهدف .
أدهم : أى هدف ؟
شعبان : فاطمة هانم . . . خالتها . . . أنا الآن على عتبة النجاح . غداً بإذن الله يبدأ الهجوم الكبير .
أدهم : لعنة الله عليك !
شعبان : الله يسامحك ! . . كنت أنتظر منك التهنئة ! . .
أدهم : اسمح لى أقول لك . . أنت مقرف !
شعبان : أنا ؟ !
أدهم : أهدافك فى الحياة صغيرة وحقيرة ! . .
شعبان : لا أرجوك . . . إهانات لا . . . لا أقبل أبداً . . . ومع ذلك قل لى . . . ما هى أهداف سيادتك العظيمة النبيلة ؟ !
أدهم : مع الأسف .
شعبان : إذن اسكت . . . واتلهى . الحال من بعضه ! . . أنا على الأقل عندى هدف . . . صغير حقير . . . هدف والسلام . . . لكن أنت ؟ . .
أدهم : أنا فى الحقيقة . . .

شعبان : أنت فى الحقيقة غير مفهوم . . . أنا عاشرتك هذه المدة ولا أعرف ماذا تريد ؟ . .
أدهم : أريد أن أعمل أى شىء نافع .
شعبان : نافع لمن ؟ . .
أدهم : للناس جميعًا . وللأمة كلها .
شعبان : للأمة كلها ؟ ! . وهل أنت مسئول عن الأمة كلها ؟
أدهم : بالتأكيد . . . مسئول .
شعبان : ومن الذى سألك وكلفك ؟
أدهم : لا أحد . . . أنا نفسى .
شعبان : ولماذا تتعب نفسك ؟
أدهم : أنا حر يا أخى .
شعبان : أصحاب العقول فى راحة ! . .
أدهم : بالعكس ، أصحاب السخافة فى راحة ! . .
شعبان : إياك تشتم . . . أو تطيل لسانك . . . أحذرك ! . . .
أدهم : وما شأنك أنت ؟ . . هل أنت سخيف ؟ . . أنا أشتم السخفاء . . أصحاب الحياة السخيفة . . . ومع ذلك حتى هؤلاء ليسوا فى راحة . حتى السخافة أصبحت لها متاعبها ومطالبها .
شعبان : متاعبها ومطالبها ؟ . . السخافة ؟ !
أدهم : ككل شىء آخر .
شعبان : ما هذا الهذيان ؟ ! أنا ألاحظ عليك هذه الأيام حالات غريبة . . . ربما كانت أعراض مرض غير معروف ! . . .
أدهم : ربما .
شعبان : فتحنا البنك لنعالج الناس فإذا أنت أول من يستعصى

علاجه ! . . كمدير مستشفى المجاذيب الذى انقلب مجنونًا بحق وحقيق ! . . .

أدهم : نحن كنا مرضى قبل أن نفتح المستشفى أو البنك . . . ولم نزل مرضى مثل غيرنا . . .

شعبان : تكلم عن نفسك وحدك من فضلك . . . أنا لم أكن مريضًا فى يوم من الأيام . . . ولله الحمد ! . . .

أدهم : بالطبع أنا أتكلم عن نفسى وحدى . . . لأنى أستطيع أن أدرك العلة .

شعبان : وما هى العلة ؟ !

أدهم : هذا شىء لا يمكن أن تفهمه أنت . . . إلا عند ما تفيق .

شعبان : أفيق ؟ !

أدهم : أنت وأمثالك .

شعبان : أمثالى ؟ ! . . .

أدهم : نعم وربما لا يحدث ذلك قريبًا .

شعبان : حضرتك خرفت ! . . . والكلام معك مضيعة للوقت . . . سلام عليكم ! . (ويتحرك للانصراف ثم يقف فجأة) أنت يلزمك علاج سريع . . . أتعرف ما هو ؟

أدهم : لا .

شعبان : هو أن تذهب فى الحال وتلقى بنفسك فى النيل . . . وهناك صياد فى قارب صغير يمكن أن ينتشلك . . . فإذا انتشلك تبدأ حياتك من جديد .

أدهم : وإذا لم ينتشلنى ؟ . . .

شعبان : تغرق . ويكون هذا من حظ البشرية ! . . .

أدهم : صدقت .

شعبان : اعمل بنصيحتى ! . . . سلام عليكم (ينصرف) .
(يظهر بالباب الزبون الثامن أو على الأصح الزبونة ، لأنها سيدة فوق الخمسين . .)
أدهم : أهلاً وسهلاً . . . تفضلى .
الزبونة٨ : هنا البنك ؟ . . . أنا قرأت على الباب . . .
أدهم : تفضلى . . . (. . يشير إلى المقعد) استريحى ! . . .
الزبونة٨ : أنا متأسفة . . . أنا فى حالة . . . أنا فى شدة الحيرة والقلق ، كنت هنا فى العمارة . . . وأنا خارجة قرأت اللافتة ، وكلمة القلق . . . وبدون أن أشعر أو أفكر دخلت عندكم . . . والله بدون شعور . . .
أدهم : هدئى نفسك . . . كلنا فى خدمتك . . . ما هو الموضوع ؟
الزبونة٨ : كنت هنا فى العمارة ... أنا وبنتى وخطيبها . . . قالوا لنا هنا شقة بخلو رجل . . . تعرف حضرتك كم الحلو ؟ . . . ألف جنيه ! . . تصدق ؟ أربع حجرات وصالة . . . بنتى مخطوبة ونحن نجهز لها . وقبل الجهاز لا بد طبعاً من إيجاد الشقة . والجهاز نفسه يا سيدى يلزم له الآن مبلغ وقدره . حجرة النوم التى كانت من سنة بمائتى جنيه الآن بسمائة . قل لى وحياتك ماذا أعمل ؟ . . كل المبلغ الذى قعدنا ندخره لزواج البنت حوالى ألف وخمسمائة جنيه . . .
أدهم : نعمة من الله ! .
الزبونة٨ : ما هى النعمة يا سيدى ؟
أدهم : ألف وخمسمائة جنيه لفرش مسكن . . . أهذا لا يكفى ؟
الزبونة٨ : يكفى ؟ . . هذا لا يكفى لفرش حجرتين . . . انزل السوق وأنت تعرف ! . . .

أدهم : ربما كنت حضرتك تطالبين بمستوى فرش معين .

الزبونة٨ : المستوى الذى يليق بنا . . . هل تدخل بنتى بجهاز أقل من جهاز بنات خالتها وبنات عمتها ؟ ؟ !

أدهم : لا طبعاً .

الزبونة٨ : كيف أحل هذا المشكل ؟ دماغى سينفجر ! . . .

أدهم : والآنسة بنتك ، المخطوبة . . . ما رأيها ؟ . . .

الزبونة٨ : ماذا تعمل المسكينة ؟ يكفى أنها تكد وتتعب وتوفر من مرتبها لتساعد فى الجهاز . . .

أدهم : أهى تشتغل ؟ . . .

الزبونة٨ : طبعاً . هى بسلامتها خريجة تجارة وتعمل فى شركة . . .

أدهم : وخطيبها ؟ . . .

الزبونة٨ : موظف معها فى الشركة يبقى رئيسها . . . عنده دكتوراه . . .

أدهم : ما شاء الله ! . . . شىء عظيم .

الزبونة٨ : وعنده سيارته . . . اسم الله عليه ! . . . سبقنى هو وبنتى إلى السيارة ... وخطفت أنا رجلى ودخلت عندكم هنا . . . قولوا كيف أتصرف ؟

أدهم : إذا اتفق الخطيبان على جهاز فى حدود المبلغ الموجود . . .

الزبونة٨ : المبلغ الموجود لا يأتى بجهاز عليه القيمة .

أدهم : وماذا يهم ؟ . . . ما دام الخطيبان سعيدين ! . . .

الزبونة٨ : وكلام الناس يا حضرة ؟ ! . . . كيف تستطيع بنتى أن تواجه صديقاتها وبنات خالتها وعمتها ؟ ! . كل واحدة دخلت بجهاز فخم . . . فكيف تنزل بنتى إلى المستوى الذى لا يليق بها ؟ !

أدهم : نحن الآن فى مجتمع اشتراكى .

الزبونة٨ : مجتمع إيه ؟ !
(تظهر بالباب الخطيبة وخلفها الخطيب . . .)
الخطيبة : أنت هنا يا ماما ؟
الزبونة٨ : تعالى يا بنتى . . . تعال يا دكتور ! . . .
أدهم : تفضلوا . . . أهلا وسهلا ! (يشير إلى مقعدين) .
الخطيبة : التفتنا فلم نجدك خلفنا . سألنا البواب قال إنه رآك تدخلين هنا . . .
الزبونة٨ : هنا يا بنتى يعالجون القلق . . . وأنت عارفة أنا دماغى انفجر . .
الخطيبة : لكن هذه مسائل خاصة يا ماما . . .
الزبونة٨ : إنهم لا يعرفون من نكون . . . لم أذكر أسماء . . . نحن مجرد ناس نشكو من الحالة . . . وربما كان غيرنا كثيرين مثلنا . . .
أدهم : اطمئنوا . . . نحن هنا لا نتدخل فى خصوصيات . . . ولكننا بقدر الإمكان نحاول التخفيف عن متاعب الناس .
الخطيب : اسمح لى أسأل . . . ما هى طريقتكم فى ذلك ؟
أدهم : ليس لنا طريقة . . . هذا مكان يأتى إليه من يريد أن يتكلم . . . مجرد الكلام فيه أحيانًا راحة وتفريج . . .
الخطيب : (للسيدة) ولكنك يا تيزة كنت تستطيعين الكلام معنا نحن فى البيت ! . . .
الزبونة٨ : هذا ما حصل . وجدت أمامى لافتة عليها كلمة القلق رحت داخلة . . .
أدهم : حصل خير على كل حال . ولنعتبر أنفسنا هنا الآن جميعًا أفراد أسرة واحدة . . . ما هو الضرر فى أن نتحدث عن متاعبنا ؟ . . .

الخطيب : لا توجد متاعب بالمرة . خلاف غلاء الأسعار المطرد . . .
وهذه ظاهرة عامة فى الدنيا كلها . وتعليلها معروف .

أدهم : طبعاً سيادتك أدرى منا . . . الست قالت إنك تحمل دكتوراه .

الخطيب : نعم . فى الاقتصاد .

أدهم : وفى الاقتصاد بالذات .

الخطيبة : وله مؤلفات فى الاشتراكية .

أدهم : أيضاً ؟! . . الدكتور إذن اشتراكى صميم .

الخطيبة : طبعاً . وأنا مثله . أليس كذلك يا شكرى ؟

الخطيب : بالفعل .

أدهم : عظيم . . . عظيم . . .

الزبونة٨ : كان كل أملى أراهما فى عش الزوجية هذا الشهر . . . لكن الشقة والجهاز . . .

أدهم : يظهر أن الست الكبيرة تريد الشقة والجهاز من مستوى لائق .

الزبونة٨ : طبعاً يا سيدى . . . أنا قلت لك الظروف .

الخطيبة : أى ظروف يا ماما ؟ . . .

الزبونة٨ : مستواك العائلى يا سميرة . . . بنت خالتك تحية . . . أنت عارفة بأى جهاز دخلت السنة الماضية . . . أول شىء ستفعله عندما تزورك فى مسكن الزوجية هو أن تنظر إلى جهازك حجرة حجرة وتقارن . . .

الخطيبة : فعلا . هذا أول شىء ستفعله تحية .

الزبونة٨ : ليست تحية وحدها . الجميع .

أدهم : الجميع ؟ ؟! لا . . . أنا أظن الدكتور لا يهمه مستوى الجهاز .

الزبونة ٨ : كيف لا يهمه ؟ . . . الدكتور قام بدفع مهر محترم . . . علاوة على علب الملبس التى سيقدمها . . . من أفخر نوع حسب المتفق عليه .

أدهم : وهل من الضرورى علب الملبس ؟

الزبونة٨ : ما هذا الكلام الذى تقوله يا حضرة ؟ ! . . هذا أهم شىء ! علب الملبس . . . لأنها هى التى فى عيون الناس . . . بعد الشبكة . . . والشبكة والحمد لله كانت تشرف .

أدهم : ورأى الآنسة ؟ . . .

الخطيبة : رأيى أن خطيبى قام ويقوم بكل الواجب .

أدهم : ورأى الدكتور أن علب الملبس والشبكة حاجات ضرورية الآن ؟ ! . . . فى هذا المجتمع الجديد ؟ ! !

الخطيب : والله هذه . . . عادات .

أدهم : عادات برجوازية ! . . .

الزبونة٨ : ماذا تقول حضرتك ؟ طبعاً ضرورية . . . حضرتك غرضك تحرض الدكتور على عدم إحضار علب الملبس ؟ !

أدهم : أستغفر الله . . . أنا حرضته ؟ !

الزبونة٨ : اسمع يا حضرة أنت ! . . علب الملبس أهم شىء . . . ولا بد تكون من أحسن صنف . . . عيب نضحك علينا الناس على الأواخر . . . أنت لا تعرف من حولنا . . . ولسانهم الطويل . . .

أدهم : أنا سحبت كلامى . . . أرجوك يا دكتور أحضر الملبس من أحسن وأفخر صنف ! . . . هذا مجتمع برجوازى داخل قماط اشتراكى ! اشتراكية قوانين ولوائح . ولسيست بعد اشتراكية روح ! . . . أحضر الملبس والعلب من أغلى نوع !

الزبونة٨: هذا ما كان سيفعله بالطبع . أليس كذلك يا دكتور ؟ . . .
الخطيب: طبعاً . طبعاً يا تيزة . لكن . . .
الزبونة٨: لكن إيه ؟ . . . ! أنت نويت ترجع فى كلامك ؟ !
الخطيب: لا أبداً يا تيزة . . . أنا فقط أردت أن أقول إن هذه تفصيلات لا تثار هنا . . .
الزبونة٨: لك حق . . . أنا غلطانة ألف مرة غلطانة أنى دخلت هنا . . . أنا حضرت أبحث عن واحد يحل لى إشكالى . . . أو على الأقل من يسمعنى الكلام الذى يريح أعصابى . . . وإذا بحضرته لا حل ولا ربط . . . وأسمعنا الكلام الماسخ الذى كنا فى غنى عنه . . . قوموا بنا !

(تنهض منصرفة بدون سلام ، ويتبعها الخطيب والخطيبة بعد أن يحييا برأسيهما . . .)

أدهم: سبحان الله ! . . .

(يظهر بالباب الزبون التاسع ، وهو كهل فى الخامسة والخمسين . .)

الزبون٩: تسمح لى أدخل .
أدهم: تفضل ! . . .
الزبون٩: (يجلس على مقعد) أنا فى الواقع . . .
أدهم: أفندم ؟ . . .
الزبون٩: المسألة تتعلق بأولادى .
أدهم: خير إن شاء الله ! . . .
الزبون٩: بالعكس لا يوجد خير بالمرة . أنا لا أريد أن أطيل عليك. . .
أدهم: تفضل تكلم على راحتك .
الزبون٩: أنا يا سيدى الفاضل عندى ثلاثة أولاد . . . سببوا لى وجع الدماغ ، الأصغر فى التاسعة عشرة يظهر أنه انحرف .

ليس عنده غير السجاير والمكيفات والبنات والسينمات وحب المغامرات أياً كانت . يظهر أنه يريد أن يعيش حياة أبطال الأفلام السينمائية المنحطة . أما الولدان الكبيران فقد تخرجا بنجاح وتوظفا . لكن الخناقة بينهما لا تنتهى : أولهما يقول عن الثانى إنه يسارى . والثانى يقول عن الأول إنه يمينى . وأنا بينهم جميعاً لا أدرى ماذا أفعل ولا كيف أتصرف ؟ . .

أدهم : وأنت ما الذى حشرك بينهم ؟

الزبون ٩ : أنا معهم فى معيشة واحدة . أنا وأمهم طبعاً . وهى أشد منى انزعاجاً . ولا يمكن أن تتصور هذا الجحيم الذى نعيش فيه كل يوم .

أدهم : ما الذى يحدث منهم بالضبط ؟

الزبون ٩ : الولد الأصغر نكاد لا نراه . . . يرجع لنا كل يوم مع الفجر . أين كان طول الليل ؟ . . . مع من كان ؟ . ماذا كان يفعل ؟ . . . لا ندرى . وكلما سألناه أو نصحناه أو حاولنا التفاهم معه شوح لنا بذراعيه ورفع صوته علينا بألفاظ نابية وتركنا وانصرف . . . هل أطرده ؟ . . . والدته تبكى وتستعطفنى بقلب الأم ، وتقول اصبر عليه ربما يعقل . . .

أدهم : هذا واحد . . . والثانى ؟

الزبون ٩ : الثانى والثالث ، كما قلت لك ، موظفان ولا بأس بهما فى عملهما الخارجى . لكنهما متى عادا من العمل قلبا علينا البيت بمناقشات تصل إلى حد الخناق والتراشق بعبارات واتهامات خطيرة . . . وأنا وأمهما فى حيرة . . . هل نتركهما يقطع أحدهما الآخر تقطيعاً كل ساعة بهذه الصورة ؟ !

أدهم : هل استعملت مسدسات أو سكاكين ؟

الزبون٩ : ما هذا الكلام ؟ !

أدهم : هذا فقط لمجرد المباسطة ! . . . الظاهر أن الشجار بينهما عبارة عن خلافات فى الرأى . . . ليس إلا ! . . .

الزبون٩ : أكثر من هذا بكثير . إنها اتهامات متبادلة . . . لا أحب أن أذكرها . . . تصور حضرتك . . . والد فى مثل سنى يريد الهدوء فيجد ولديه من حوله يصيحان طول الوقت ويقول كل منهما عن الآخر إنه كارثة على البلد ؟ !

أدهم : وأنت . . . ماذا قلت لهما ؟

الزبون٩ : قلت لهما إنى لا أستطيع أن أنام طول الليل على جنب واحد . وإنى أحيانًا أنام على جنبى الأيمن وأحيانًا أنام على جنبى الأيسر .

أدهم : وماذا كان جوابهما ؟

الزبون٩ : سخر الاثنان منى وقالا لى : هذا فى النوم .

أدهم : طبعًا . هذا فى النوم .

الزبون٩ : أنت أيضًا تقول ذلك ؟

أدهم : أنا أقرر الواقع . أنت تقول إنك تتقلب فى النوم . . . طبعًا فى اليقظة أنت لا تلازم الفراش . . . وإذن لا تنام ولا تتقلب .

الزبون٩ : فى اليقظة . . . أقعد على كرسى مريح . . .

أدهم : هذا إذا قعدت . لكن عندما تسير . . . فى الشارع ؟ !

الزبون٩ : عندى سيارة صغيرة . . . أقودها بنفسى . . . طبعًا عندما أجدها لأنها فى أغلب الأحيان يكون قد لطشها الولد الأصغر وذهب بها إلى حيث لا ندرى . . .

أدهم : تقود سيارتك بنفسك . . . هذا جميل ! . . .

الزبون٩ : وشيء متعب ومزعج . خصوصًا فى الشوارع المزدحمة .

أدهم : حقًا . . . الشوارع المزدحمة ، أصبحت شيئًا مزعجًا ! . .

الزبون٩ : هذا إلى جانب مخالفات المرور .

أدهم : كان الله فى عون من عنده سيارة ! . . .

الزبون٩ : حقًا . إن لم يكن الإنسان عنده نظر سليم وأعصاب متينة فيحسن به أن لا يقود سيارة . خصوصًا الأعصاب . أى أعصاب لا تهتز وأنت أمامك فى كل خطوة شوارع فى اتجاه واحد . . . وشوارع عليها لافتات : ممنوع الدخول وشوارع تأخذ فيها اليمين فقط . وشوارع تأخذ فيها يمينك ويسارك حسب ما تريد . وشوارع ممنوع فيها الوقوف . وشوارع يمكن أن تقف فيها على اليمين فقط ، أو على اليسار فقط . . . شيء يلخبط العقل يا أستاذ ! . . .

أدهم : وسيارتك لا تزال عندك ؟ . . .

الزبون٩ : عندى . وهى معى تحت فى الشارع منتظرة . . . وعلى الله لا يأتى عسكرى المرور ويحرر لى مخالفة انتظار !

أدهم : من ضمن المتاعب ! . . .

الزبون٩ : ماذا أفعل ؟ . . . شىء لا بد منه ! . . . محتاج لها فى تنقلاتى وتحركاتى . . . المهم أن تسير . . . ولا تقف وأن لا أدوس بها أحداً . . .

أدهم : ربنا يستر ! . . .

الزبون٩ : وأنت يا أستاذ ؟ . . .

أدهم : أنا يا سيدى ليس عندى سيارة .

الزبون٩ : دعنا الآن من السيارة والسيارات . . . أنت لم تقل لى رأيك ؟

نحن خرجنا عن الموضوع . . . فلنعد إلى مسألة الأولاد .

أدهم : وليس عندى أولاد .

الزبون٩ : أنت لم تحل لى مشكلتى حتى الآن . . .

أدهم : والله . . . فى الواقع . . . مشكلتك هذه . . .

(جرس التليفون يرن يرن . .)

أدهم : (يرفع السماعة) آلو . . . نعم ؟ . . . تريد أولاده ؟ . . .
سأقول له . تحب أرسله إليك ؟ . . . وهو كذلك ؟ . . .

(يضع السماعة ويلتفت إلى الزبون)

مشكلتك من اختصاص الحجرة رقم ثلاثة .

الزبون٩ : الحجرة رقم ثلاثة ؟ . . .

أدهم : نعم . الحجرة الثالثة هناك وسيطلب منك إحضار أولادك . . .
أو على الأقل إحضار الاثنين الموظفين اليمينى واليسارى . . .

الزبون٩ : فى وقت واحد ؟

أدهم : إذا أمكن .

الزبون٩ : أعتقد من الصعب إقناعهما بالحضور معاً .

أدهم : إذن أحضر كل واحد على انفراد .

الزبون٩ : هذا أسهل .

أدهم : على كل حال هذه مسألة تفصيلية يمكنك الاتفاق عليها
مع الحجرة ثلاثة . . . والآن تسمح تشرف هناك !

الزبون٩ : (ينهض) وهو كذلك . . . شكراً . . . (يخرج)

أدهم : أف ! . . .

الفصل التاسع

ما وافى عصر الغد حتى كانت يد شعبان قد امتدت إلى سماعة التليفون طالباً فاطمة هانم . وسمع صوتها يقول له : « آسفة . . . اتصل بى عصر الخميس » ، وأنهت المكالمة . لكن لهجتها كانت لطيفة . لولا هذا لخامرته الظنون . كان اليوم الاثنين . فأجلت الموعد يومين . لا يمكن أن تكون قد رجعت إلى عقلها وأرادت التنصل من وعدها والمماطلة . مثلها كان يتخذ الطريق القاطع الحاسم ويحزم الأمر بالرفض فوراً . لكن هذا التأجيل لعصر الخميس لا بد له من سبب . فلينتظر إذن . وجاء عصر الخميس ورفع شعبان السماعة وطلبها وترقب إجابتها هذه المرة ، فإذا هي تقول له بصوت هامس : « انتظرنى الساعة السادسة على محطة المعادى » .

كانت الساعة وقتئذ حوالى الخامسة . فرأى الأفضل أن يبادر هو ويكون فى انتظارها ، قطعاً للحجج . وركب القطار إلى ضاحية المعادى وانتظر بالمحطة . وجاوزت عقارب ساعة المحطة السادسة وهو منتظر يقول فى نفسه : « أما إذا اتضح أنه مقلب ! » . لكن القطار التالى الآتى من القاهرة لم يلبث أن ظهر ووقف ، ونزلت منه فاطمة هانم فاطمأن ! ... اقترب منها مرحباً ، فقالت له : « تعال معى » . . . وسارا معاً فى طرقات المعادى إلى أن بلغا فيللا صغيرة من طابقين تكاد تختفى بين أشجار حديقة كبيرة محيطة بها . فتركته على بعد خطوات من باب الفيللا قائلة له : « أرجوك . . . انتظر هنا لحظة حتى أعود فأدعوك » ومضت هى وحدها ودخلت ، وبعد نحو عشر دقائق لمح امرأة تخرج

من الفيللا وتسير متجهة إلى المحطة . امرأة مسنة يبدو من هيئتها أنها خادمة قديمة أو مربية . وما إن اختفت عن الأنظار حتى ظهرت فاطمة بالباب وأشارت إليه أن يدخل .

ودخل سائراً خلف فاطمة التى قادته إلى داخل الطابق الأول . ونظر فوجد نفسه فى صالة مفروشة فرشاً بسيطاً لكنه مريح . ووجد بابين مقفلين لحجرتين متقابلتين ، وسلماً خشبياً يؤدى إلى الطابق الأعلى . ثم باباً صغيراً تحته يؤدى إلى حمام ومطبخ وأوفيس . . . دعته إلى الجلوس فجلس على مقعد وهو يسألها : « أنحن وحدنا فى هذا المنزل ؟ » ، فأجابته بالإيجاب . ثم تركته واتجهت إلى الباب الصغير قائلة : « انتظر حتى أعمل لك فنجان شاى » . وقعد قعدة مريحة مسنداً رأسه إلى ظهر الفوتيل ومادّاً ساقيه إلى الأمام كأنه فى بيته ، وجعل يدندن بصوت خافت .

وفجأة اعتدل وأصاخ بأذنيه . فقد خيل إليه أنه سمع صوتاً يأتى من الطابق الأعلى . كأنه صوت نشيج بكاء انتهى بضحكة . صوت نسائى على كل حال . لكنه غريب وخافت جداً إلى درجة ظن معها أنه مجرد وهم توهمه . وظل لحظة مترقباً لعله يسمعه مرة أخرى . لكنه لم يتكرر . وعادت فاطمة بفنجان الشاى وقدمته إليه . فرشف منه رشفة ثم سألها مرة أخرى عمن بالمنزل ، فقالت : « لا أحد غيرنا » فلما أخبرها عما توهم أنه سمع حملقت فيه قليلا . ثم بادرت تقول له إنه مجرد وهم ، ثم فتحت باب إحدى الحجرتين ودعته إلى الدخول . هذا فى رأيها خير من الجلوس فى الصالة . وفيها لن يسمع شيئاً إلا صوت طيور المساء وهى عائدة إلى أعشاشها ، يسمع تغريدها من الشباك المفتوح على الحديقة . إنها حجرة نوم . وفيها بالفعل شباك ترى منه أشجار ضخمة كردة الجن . وأشارت له إلى مقعد بجوار السرير ، فجلس .



وجعل يفكر فيما ينبغي أن يفعل بعد ذلك . يجب أن يقيس تصرفاته بدقة . فإن أى خطأ فى التقدير يمكن مع مثل هذه السيدة أن يؤدى إلى نتيجة سيئة . والأصوب أن يرقب تصرفاتها هى ويتحين الفرصة المناسبة فلتكن هى البادئة .

لكنها حتى الآن لم تبد منها أى حركة فى غير محلها . فهى قد اتخذت مجلسها على كنبة وثيرة . وكلامها كله يدور حول ضاحية المعادى وهدوئها . وأن هذا المنزل هو لإحدى قريباتها ، وهى مسافرة بضعة أيام ، لم تترك فيه غير الخادمة العجوز التى خرجت منذ قليل فى إجازة تبيت عند ذويها . كل هذا كلام معقول . لكن لماذا جاءت به إلى هذا المنزل المقفر ؟ . . . ولماذا هو الآن فى حجرة نوم معها ؟ . . . إنها دبرت كل ذلك بعناية . وعليه هو إذن الباقى . . .

وأسرع عندئذ يقول لها : « لماذا نجلس متباعدين هكذا » ونهض وقعد إلى جانبها على الكنبة . . . ثم جعل يشمها ويطرى بإعجاب العطر المتضوع من شعرها وهو يغمض عينيه ويأخذ نفساً عميقاً . فقالت : « أأعجبك ؟ ! » وكان لصوتها وهى تلفظ هذه الكلمة نعومة لم تظهر عليها من قبل ، أدرك معها أنه فى طريقه إلى هدفه . وبالفعل سار كل شىء بعد ذلك سيراً طبيعياً سريعاً . وتوالت تفصيلات يكاد كل منهما لا يذكر منها شيئاً ، وتم الانتقال من الكنبة إلى السرير دون أن يشعر أحدهما كيف تم . . . وقد راعى شعبان رغبتها فلم يتركها إلا بعد أن تراخت قبضتها عليه . فانفلت منها بلطف وعاد إلى الكنبة وارتدى ملابسه وأخذ يدخن سيجارة . وهى ما تزال فوق الفراش فى شبه غيبوبة . . .

إنها ليست عانساً بالمعنى الحقيقى . فهى ليست بكراً . ويبدو أنها لم تتصل برجل منذ زمن طويل : رأى ذلك فى نظراتها وفى تشبثها

بكتفيه . كأنها لا تصدق ما هي فيه . تملكها شعور المرأة التي ذبلت ففقدت الأمل في المتعة مع رجل . ونفث الدخان من سيجارته ونظر إلى ذلك الجسد الممدد الغائب في نشوته . وأدرك حجم تلك المتعة التي تلقى إلى محروم . . . العجيب أنه وجد في ذلك متعة له هو أيضاً . إن السعادة معدية كالمرض . وهذا الامتنان الصامت الذي يتلقاه من هذه المرأة يملؤه غبطة . إنه أراد التوسل بها إلى أخرى . لكنها هي أيضاً لها مذاقها . وهو من نوع آخر . إنها لفرط تقديرها لما نالت تشعرك بلذة الكرم . إنه الآن أدرك أن زير النساء الحقيقي هو قبل كل شيء رجل كريم . إنه يحب كل النساء . ولايفرق بين سن وسن . يحبهن أحياناً لأنفسهن . متعته أن يمتعهن .

وتذكر صديقه أدهم . ذلك الذي لا يستطيع فهم الأمر على هذا الوجه . لا يستطيع أن يرى غير المرأة التي يتعلق بها قلبه وفكره . هي وحدها التي يمنحها كل شيء . وعندئذ تصبح في عينه كل نساء الأرض ما عداها كالعدم . إنه قلب أناني وجسد معطل موقوف على امرأة واحدة . قلما يجدها . وأغلب الظن أنه لن يجدها ، لأنه يصنعها بخياله صورة هائمة ، ليس من السهل أن تصب في كيان ملموس ؛ أدهم هذا غير قدير على أن يضع شيئاً في كيان ملموس . ومع ذلك يسخر منه ومن اهتمامه بالنساء . من اهتمامه بأن يكون سخياً بقلبه وجسده مع كل من تصادفه . حتى مع تلك التي ضاعت منها الفرص . تلك رسالة زير النساء الخالدة في تاريخ البشرية.! والأحمق أدهم لا يريد أن يفهمها . . .

ونفخ مرة أخرى الدخان من سيجارته ونظر بزهو ورضا إلى جسد فاطمة نصف العاري فوق السرير وهي تتنهد . ثم راقبها وقد أفاقت وحركت أعضاءها ، ثم فتحت عينيها والتفتت حولها . فلما وقع نظرها

عليه : أسرعت بلم أطراف ثوبها فى حياء . وابتسمت . ثم نهضت واستوت على قدميها وقالت له برقة : « تحب تأكل شيئاً ! . . . أحضر لك فاكهة ؟ . . انتظر لأرى ماذا يوجد فى المطبخ ! » . وخرجت مسرعة ثم عادت بعد قليل بطبق بطيخ مثلج وشوكتين . وجلسا يأكلان معاً ويضحكان . وهى تقول إنها لم تضحك هكذا منذ أعوام طويلة . . . منذ شبابها الأول . وعند لفظها لشبابها الأول مرت سحابة فى ذاكرتها . فتجهم وجهها فجأة . ولم يفطن شعبان لذلك . فقد كان التفاته فى تلك اللحظة إلى الحديقة وأشجارها التى يلعب بأغصانها وأوراقها نسيم المساء . فاقترح عليها أن يخرجا ويمشيا بين هذه الأشجار . فراقت لها الفكرة . وعند الباب رجته أن يسبقها ريثما تأتى بالإشارب لتلفه حول عنقها وشعرها . لكنها بدلا من أن تتجه إلى الحجرة التى كانا فيها ، صعدت إلى الطابق الأعلى . وخرج هو يتمشى فى ممرات الحديقة . ووجد مقعداً من جذوع الشجر فى خميلة من زهر أحمر فجلس ينتظرها .

وساءل نفسه بعد قليل لماذا ينتظر ؟ . . . أما كان الأجدر أن يستأذن وينصرف ؟ . . . لكن لا . . . إن الانصراف السريع هكذا معناه أنه جاء لقضاء حاجة ومضى . وهذا ما لا ينبغى أن يستقر فى ذهنها . إنه يسعى إلى توثيق الصلة بينه وبينها . وأن يكتسب ثقتها ليعرف أشياء ويصل إلى أشياء . . . لكنها تأخرت داخل المنزل أكثر مما ينبغى . لا يمكن أن يكون كل هذا بحثاً عن غلالتها الحريرية . . .

المنظر التاسع

(فاطمة تقبل على شعبان وتجلس إلى جواره على المقعد الخشبي . .)

فاطمة : أبطأت عليك ؟ . . .

شعبان : قليلا . أنت صعدت إلى الطابق الأعلى ؟

فاطمة : (فى اختلاجة) كيف عرفت ؟ رأيتنى ؟

شعبان : طبعاً . كان هذا أمامى قبل أن أخرج .

فاطمة : آه . . . لم آخذ بالى . كنت مستعجلة و . . .

شعبان : ومع ذلك لم تأت بالإشارب الذى ذهبت تبحثين عنه . . .

فاطمة : لم أجده . يظهر أنى نسيته فى . . . منزلنا بالدقى .

شعبان : على كل حال أنت هكذا أحسن . . . بدون إشارب ! . . .

فاطمة : لا تبالغ يا شعبان ! أنا أعرف نفسى جيداً .

شعبان : ما هو الذى تعرفينه عن نفسك ؟

فاطمة : على الأقل ما يعرفه الناس وما تعرفه أنت . إنى لست فى سن الشباب .

شعبان : وماذا يهم ؟

فاطمة : يعجبك هذا الشعر الأبيض ؟ !

شعبان : خصلات بيضاء وسط الشعر الأسود . . . جنان ! . . .

فاطمة : فكرت أمس قبل أن ألقاك أن أقول للكوافير يصبغها .

شعبان : إياك أن تفعليها ! . . .

فاطمة : ما دمت تريد ذلك . . . فسأمتثل .

شعبان : أنا أريدك كما أنت . لا تحاولى تغيير شىء .

فاطمة : أحقًّا أنت جاد فى هذا الكلام ؟

شعبان : وما مصلحتى فى الكذب ؟

فاطمة : حقًّا . . . وهذا ما يدهشنى .

شعبان : ما الذى يدهشك ؟

فاطمة : هذا الإعجاب بى ؟ . . . إنى أكبر منك سنًّا !

شعبان : ليس بشىء كثير .

فاطمة : نت طيب القلب . . . : إنى مدينة لك بهذا السرور الذى تدخله على قلبى .

شعبان : أتساءل لماذا لم تتزوجى حتى الآن ؟

فاطمة : ظروف .

شعبان : أهى مرفت ؟

فاطمة : نعم .

شعبان : ولكنها هى تزوجت مرتين .

فاطمة : إنها دائمًا كانت فى حاجة إلى وجودى بجانبها .

شعبان : لكن . . . لا بد أنه كان فى حياتك رجل .

فاطمة : (مرتجفة) كيف عرفت ؟

شعبان : طبعًا . هذا . . .

فاطمة : (تفهم) آه طبعًا عرفت . . .

شعبان : كان اتصالا بغير زواج . أقصد . . . كان حبًّا . . .

فاطمة : نعم .

شعبان : لا بد كان ذلك من سنوات .

فاطمة : (فى تنهد وهى مطرقة) نعم .

شعبان : أنا متأسف . يظهر أنى دخلت فى موضوعات شخصية لا يصح لى الكلام فيها . كل ما أردته هو أن أقول إنك جديرة أن يكون إلى جانبك رجل . . . يعزك و . . .

فاطمة : أنا متشكرة يا شعبان . وأحب أن أقول لك إنك أول رجل أتصل به . . . منذ . . . منذ تلك الأعوام الطويلة . . . منذ أيام شبابى .

شعبان : لا شك أنك فى شبابك . . . أقصد شبابك الأول . . . كنت رائعة !

فاطمة : أظن .

شعبان : وكيف استطاع ذلك الرجل الذى عرفك تلك الأيام . . . أن يتركك دون أن يتزوجك ؟ !

فاطمة : كان ذلك مستحيلا .

شعبان : وأين هو الآن ؟

فاطمة : مات . . . منذ زمن طويل . شعبان . . . أرجوك ! . . .

اترك هذا الموضوع ! . . .

شعبان : اعذريني . . . أنا قليل الذوق ! . . .

فاطمة : بالعكس . أنت مهتم بي . وأنا مقدرة هذا الاهتمام . لكن . . . فلنتحدث في شيء آخر . . . حدثني عن نفسك أنت . . . أنت متزوج ؟

شعبان : كنت .

فاطمة : عندك أولاد ؟

شعبان : لا . . . يظهر أني لا أنجب ، على الرغم من أني تزوجت وطلقت أكثر من مرة .

فاطمة : أنت أيضاً ؟ . . .

شعبان : نعم . مثل مرفت ! . . .

فاطمة : عرفت إذن نساء كثيرات . كلهن بالطبع صغيرات السن ! . .

شعبان : ولكنك أنت شيء آخر .

فاطمة : من أي جهة ؟ . . .

شعبان : أنت ممتعة .

فاطمة : أنا التي كان يجب أن أقول لك ذلك . لكنني . . . أخشى أن تكون في نفسك تحتقرني ! . . .

شعبان : أحتقرك ؟ ! . . . لماذا ؟ ! . . .

فاطمة : ثق أني امرأة ذات مبادئ . ولا أدري لماذا أنا فعلت هذا ! . .

شعبان : أنت لم تفعلي شيئاً يستوجب . . .

فاطمة : إني أكرر أخطائي . . . وإن كنت في هذه المرة لم

أسىءُ إلى أحد . . .

شعبان : أوَ كنت قد أسأت إلى أحد ؟ ! . . .

فاطمة : أرجوك . . . لا تحاول أن تعرف شيئًا عن حياتى ! . . .

شعبان : حياتك لا غبار عليها .

فاطمة : فى الحاضر . . . ربما . . . إلى ما قبل هذا المساء .

شعبان : وما الذى حدث هذا المساء ؟

فاطمة : هذا الذى وقع بيننا . . .

شعبان : شىء طبيعى .

فاطمة : ليس بالنسبة إلى . . . إلى امرأة فى سنى وتفكيرى . . . ألم تسائل نفسك ما هذه السيدة التى قادتك إلى هذا المنزل المنفرد بالمعادى لتلقى بجسدها فى أحضانك . . . وتنهار هذا الانهيار . . . المخجل ! . . .

شعبان : ليس بالمخجل . . . إنه ممتع ! . . .

فاطمة : اسمع يا شعبان . . .

شعبان : اسمعى أنت يا فاطمة هانم أريد أن أؤكد لك . . .

فاطمة : أرجوك أولا . . . لا تقل فاطمة هانم . . . لأن هذا مضحك ! نادنى بفاطمة فقط . نعم . . . بعد الذى حدث بيننا فى الفراش ، أظن من المناسب أن تنادينى باسمى المجرد ! . . .

شعبان : هل تظنين أن ما حدث بيننا يمكن أن يقلل من احترامى لك ؟

فاطمة : هذا ما أرجوه .

شعبان : تأكدى أنى أعرف تمامًا من أنت .

فاطمة : أنا نشأت فى أسرة فقيرة بسيطة . . . كما قلت لك . . . أبى كان معاون إدارة مركز فى الريف . لم يكن فى بيتنا الصغير حنفيات ماء . كنا نشرب من الزير . وكنا نطحن قمحنا ونقوم من الفجر نعجن ونخبز خبزنا بأيدينا . ومع ذلك علمنا والدنا أنا وأختى فى المدارس . وكان كل ما يطمع فيه أن يرانى يوماً مدرسة بنات بالأقاليم .

شعبان : أنت سيدة تستحقين كل تقدير .

فاطمة : لو أن القدر أراد لى أن أكون مدرسة كما كنا نطمع . . . لكن مع الأسف حدث التحول الخطير فى حياتنا أنا وأختى ، ودخلنا أسرة عاطف . . . وبعدها توالت علينا المصائب . . .

شعبان : أى مصائب ؟ ! . ألم تكن أختك سعيدة بهذا الزواج ؟ .

فاطمة : كانت سعيدة فعلا . . . فى مبدأ الأمر . . . أحبت زوجها بعد الزواج حب عبادة . . . كان عادل حقاً رجلا يحب . . . كانت فى عينيه نظرات لا تقاوم . . . لكن . . . لماذا فتحنا هذا الموضوع ؟ أرجوك يا شعبان تكلم فى شىء آخر ! . . .

شعبان : (ناظراً جهة المنزل صائحاً) انظرى . . . انظرى ! . . .

فاطمة : ماذا ؟ . . .

شعبان : (يشير بأصبعه) هناك فى الطابق الأعلى . . . خلف هذه النافذة . لمحت شيئاً . . .

فاطمة : ماذا لمحت ؟ ! . .

شعبان : خيل لى أنى لمحت شبح امرأة يمر ويختفى ! . . .

فاطمة : امرأة ؟ !

شعبان : نعم . امرأة بيضاء الشعر . . .

فاطمة : دعك من هذا . . . أرجوك !

شعبان : ربما كان هذا المنزل مسكونًا بالأشباح ! . . .

فاطمة : هل تؤمن بالأشباح ؟

شعبان : ولم لا ؟ ! . . .

فاطمة : إذن ستخاف أن تأتى هنا مرة أخرى ؟ !

شعبان : أتريدين أن آتى هنا مرة أخرى ؟

فاطمة : أيسوؤك هذا ؟

شعبان : بالعكس . هذا يسرنى .

فاطمة : يسرك حقًّا ؟ .

شعبان : بكل تأكيد .

فاطمة : أما أنا فإنى . . . خائفة . . .

شعبان : خائفة ؟ . . . خائفة من ماذا ؟ من الأشباح ؟

فاطمة : أن . . . أن أضعف مرة أخرى . . .

شعبان : أوكنت تظنين أن ينتهى ما بيننا هكذا سريعًا ؟ ! . . .

فاطمة : قل لى يا شعبان . . . متى ينتهى هذا العمل الذى تشتركون فيه مع منير ؟ . . .

شعبان : والله هذا . . . شىء فى علم الغيب .

فاطمة : أنا لا أثق أبداً فى منير عاطف . . . كلام بينى وبينك .

شعبان : أليس هو المتولى شئونكم ؟ .

فاطمة : نعم هو الذى يدير ميراث مرفت . . . طبعاً هى لا تحاسبه . لكنى لا أقصد من هذه الجهة . . .

شعبان : مرفت هى العقبة فى سبيلك .

فاطمة : أى سبيل ؟

شعبان : استقرارك فى بيتك الخاص . لم يكن من المتعذر قطعاً أن تجدى الزوج المناسب . كل مرحلة من العمر ولها ما يناسبها .

فاطمة : تقدم لى بالفعل رجل محترم أرمل فى الخمسين . لكن . . . كيف أتزوج وأترك مرفت تعيش بمفردها بلا زوج ؟ !

شعبان : أليس فى نيتها الزواج مرة ثالثة ؟

فاطمة : لا .

شعبان : لماذا لا تجرب ؟ . . . ربما كانت الثالثة ثابتة ! . . .

فاطمة : لا تريد .

شعبان : كيف تعيش إذن ؟

فاطمة : أسخف وأتفه حياة يمكن تصورها . ألم أقل لك ذلك عند ما قابلتك فى مكتبك أول مرة ؟

شعبان : نعم ، وحدثتنى عن قلقك عليها .

فاطمة : أتعرف ما حقيقة قلقى عليها ؟ هو أنها مجردة من القلق . إنها لا تدرك أن حياتها فى حاجة إلى إصلاح أو تغيير ، وعند ما يصل إنسان إلى هذه الدرجة . عند ما يفقد الحاجة إلى نقد نفسه ، أو القلق عليها ، فإنه يصبح فى حالة غير طبيعية ! . . .

شعبان : أليست هى راضية عن حياتها هذه ؟ . . .

فاطمة : راضية . . . كلمة مريحة . . . قل إنها عابثة بحياتها .

شعبان : العبث بالحياة فيه أحيانًا متعة . . . دعيها تعبث بالحياة ، تلهو كيفما شاءت . . . مع من تشاء . . . اتركيها يا ستى تتمتع بشبابها . . .

فاطمة : لن أمنعها . . . خصوصًا الآن . . . بعد هذه الليلة ! . . .

شعبان : اتفقنا إذن .

فاطمة : اتفقنا على ماذا ؟ . . .

شعبان : على هذا الرأى طبعًا . . . العبث والمتعة ليس فيهما دائمًا عيب !

فاطمة : أنت يا شعبان لم تفهم قصدى . أنا لا أقلق على مرفت لكونها تريد أن تلهو مرة مع شخص ما . . .

شعبان : أنت إذن لا تمانعين فى أن تلهو أحيانًا مع شخص ما ؟

فاطمة : ليس هنا جوهر المسألة .

شعبان : بل هذا هو جوهر المسألة عندى .

فاطمة : عندك ؟ !

شعبان : أقصد . . . باعتبارى أعالج الموضوع . . . بناء على استشارتك السابقة . . . طبعًا . . .

فاطمة : افهمنى يا شعبان . . . خوفى على مرفت هو لظاهرة أعتبرها خطيرة . ربما كان لقراءاتى دخل . . . ولكنى أعتبر الشخص الذى لا يضيق بحالته ولا يحلل نفسه ، ولا يريد أن يعرف

أخطاءه هو إنسان فى حالة غيبوبة . . .

شعبان : وهل مرفت فى حالة غيبوبة ؟ .

فاطمة : ألم أقل لك إنها لا تعرف شيئاً مما يجرى حولها ؟ . . . تأكد أنها لا تشعر ولا تبالى بما يقع من أحداث . لا تشعر إذا كانت فى عهد ملوكية أو جمهورية ! . . . لا ترى أى فرق ! لا تقرأ أبداً . . . حتى ولا الجرائد . . . كل معلوماتها تصل إليها فى قالب إشاعة أو نكتة أو قفشة . فتضحك بلا مبالاة . وتهز كتفيها . . . لكل شىء ، ولأى شىء . . . حاولت كثيراً أن أغيرها فلم أستطع . . .

شعبان : قلت لك ونحن فى المكتب ، لا تحاولى . . . ودعيها وشأنها ! . . .

فاطمة : كيف أدعها وشأنها . أنا المسئولة عنها .

شعبان : من قال إنك المسئولة ؟ . . . هل أنت التى صنعت طبعها ؟ . إنها خلقت هكذا . . .

فاطمة : يجوز . . . ربما ورثت عن أبيها . . . أبوها أيضاً كان فيه هذه اللامبالاة . . . لكن أنا التى توليت تنشئتها بعد ذلك . لماذا فشلت فى تربيتها ؟ . . . أترانى بالغت فى تدليلها ؟ . . إنها كانت تكره الدراسة . وكلما هربت من المدرسة كنت أتسامح ولا أجرؤ على إرغامها . وكلما طرحت الكتاب أو مزقته تركتها تفعل . . . كلنا فى خدمتها . . . لم تخدم نفسها مرة . . . لقد أتلفتها . . . أتلفت حياتها . . .

شعبان : لا تعذبى نفسك بهذه الأفكار ، أرجوك . . . ما من أحد

يتلف حياة أحد . . . كل إنسان مسئول عن حياته .

فاطمة : نتركها هكذا فى هذا الضياع ؟ !

شعبان : إنها ليست أول ضائعة ولا آخر ضائعة ! . . .

فاطمة : ماذا يمكن أن تصنع مثل هذه فى الدنيا لو فرض وانقطع إيرادها ؟ ! أى عمل تحسنه ؟ . . . إن فكرة العمل نفسها لا تعرف لها وجوداً ولا معنى . أنا وأنت مثلا نستطيع أن نقوم بأى شىء لكسب لقمتنا . . .

شعبان : ثقى أنها ستأكل . . . وستجد دائماً من يؤكلها ! . . . اطمئنى ! الدنيا ما زالت زاخرة والحمد لله بالعاطلين والفارغين والعابثين يعمرون البلاجات واليخوت والكباريهات هنا وفى بقاع كثيرة من العالم ! . . .

فاطمة : آه . . . ليس أشق من حمل مسئولية الأولاد ! . . . خصوصاً فى حالتى . . .

شعبان : حالتك ؟ . . . مالها حالتك ؟ !

فاطمة : أنت لا تعرف . . . لو عرفت لعذرت ! . . .

شعبان : أعرف ماذا ؟

فاطمة : حقيقة حالى . . .

شعبان : قولى لى إذن . . . أرجوك !

فاطمة : لا . . . لا أستطيع . . .

شعبان : ما هو المانع ؟ . . . ماذا يمنعك من أن تقولى لى ؟ . . .

فاطمة : لم يحن الأوان بعد .

شعبان : أنا إذن . . . لست بعد محل ثقتك .

فاطمة : ليست مسألة ثقة .

شعبان : اسمعي يا فاطمة هانم . . . اسمحي لى الآن أقول لك يا فاطمة وأرجوك أن تعتبريني صديقاً . . . إني أراك فى حاجة إلى صديق .

فاطمة : هذا صحيح .

شعبان : لا تخفى إذن عني شيئاً . . . واعتمدى على إخلاصي . سأكون فى خدمتك . ثقى من ذلك . . .

فاطمة : إني واثقة . لكنني . . . لست فى حل . . .

شعبان : لست فى حل! من ماذا ؟ تكلمى يا فاطمة . . . كل ما أريد هو راحتك والتخفيف عنك . . . هذا واجبي . . . لا يصح أن أتركك هكذا معذبة بأشياء أجهلها . . .

فاطمة : دعني أفكر . . .

شعبان : أمرك . . . (ينهض) .

فاطمة : أتنصرف ؟

شعبان : بعد إذنك .

فاطمة : أرجوك يا شعبان لا تغضب مني .

شعبان : أنا أغضب منك ؟ ! . لماذا ؟

فاطمة : قد تظن أني غير واثقة فيك . إني على قصر المدة التى تعارفنا فيها أشعر أنك صديق يمكن الاعتماد عليه .

شعبان : وسأكون دائماً عند حسن ظنك .

فاطمة : وسأكون لك بدورى مخلصة ، تأكد ! . . .

شعبان : أنا متأكد .

فاطمة : اسمع يا شعبان . . . خذوا بالكم من منير . . . أنا غير مرتاحة !

شعبان : غير مرتاحة ؟ !

فاطمة : لست أدرى ما الذى حشره معكم ؟ . . . إنه لا يدخل فى عمل إلا ليكسب من ورائه شيئاً .

شعبان : ونحن أيضا نكسب .

فاطمة : ليس نفس الشىء . على كل حال فتحوا عيونكم ! . . .

شعبان : عيوننا بخير . . . والظاهر لنا أنه هو الخسران فى الشغلة .

فاطمة : أتظن ذلك ؟

شعبان : حتى الآن هذا مؤكد .

فاطمة : أنا غير متأكدة .

شعبان : لا تخافى علينا ! . . . كونى أنت فى نفسك . . . وهدئى بالك . . . وأريحى أعصابك وارفعى معنوياتك وانظرى إلى الدنيا بروح طيبة مرحة متفائلة . . .

فاطمة : اليوم أشعر بذلك فعلا . . . بفضلك يا شعبان . . .

شعبان : العفو يا فاطمة . . . متى سنتقابل ! . . .

فاطمة : اتصل بى بالتليفون . . . مساء الخميس القادم. . . مثل اليوم . . .

شعبان : بعد أسبوع بطوله ؟ !

فاطمة : هذا هو اليوم الذى يناسبنى .

شعبان : أمرك . . . والآن . . .

فاطمة : (تمد يدها إليه) إلى اللقاء يا شعبان . . .

شعبان : ألا تنصرفين معى ؟

فاطمة : لا . . . سأبقى هنا .

شعبان : وحدك ؟ . . . فى هذا المنزل ؟ !

فاطمة : نعم . قليلا . . .

شعبان : مع الأشباح ؟ !

فاطمة : نعم . . . مع الأشباح . . .

شعبان : وهو كذلك . . . أذهب أنا إذن . . .

فاطمة : مع ألف سلامة ! . . .

شعبان : (قبل أن ينصرف) تسمحين يا فاطمة ؟ . . . (يقبلها)

فاطمة : (بتأثر وامتنان) متشكرة يا شعبان ! . . .

(ينصرف وهى تشيعه بعينيها . .)

الفصل العاشر

نفذ شعبان الاتفاق واتصل بفاطمة عصر الخميس كما أرادت . قالت له إنها ستكون فى انتظاره فى ذلك المنزل بالمعادى حوالى الثامنة . بمفردها . لأن الخادمة تكون قد انصرفت فى إجازتها الأسبوعية . كانت تكلمه بالتليفون وعينها تراقب المكان خشية من مفاجئ . كأنها مراهقة تخاطب أول حبيب . وما إن وضعت السماعة حتى أسرعت إلى الحمام ومعها ملابس داخلية شفافة اشترتها أخيراً وتأنقت فى اختيار ألوانها . كان مجرد اهتمامها بنفسها الآن يمنحها فرحة الحياة الجديدة .ومهما يكن تفكيرها فى صواب ما تفعل فإنه لم يكن من السهل عليها الآن رفض هذه الفرصة . وانتهت من زينتها وارتداء ثيابها وخرجت تواً إلى منزل المعادى .

كانت الخادم فى انتظار قدومها فصرفتها . وصعدت إلى الطابق الأعلى . وما إن اقتربت الساعة من الثامنة حتى هبطت إلى الصالة ، وفتحت الباب ووقفت تترقب . وأقبل شعبان فى الموعد . وكان لقاء مما يحدث بين عاشقين . وقادته إلى نفس الحجرة . وتخفف كل منهما من بعض ثيابه . وكاد يقع بينهما ما وقع فى المرة السابقة ، لولا صوت صرخة انتفضت لها فاطمة ، وقفزت من مضجعها ، وخرجت فى الحال وصعدت إلى الطابق الأعلى . ومن لهفتها نسيت أن تستأذن من شعبان أو حتى أن تضع شيئاً فوق كتفها العارية . وذهل شعبان لحظة . ثم تمالك وارتدى سترته وانطلق فى أثرها يستطلع الخبر . صعد

إلى الطابق الأعلى فوجد أمامه بابا مفتوحا فأطل منه ، فإذا هو يجد امرأة بيضاء الشعر . تلك التى لمح خيالها فى الشباك من الحديقة وقال إنها شبح . كانت تنشج وتبكى وتضحك فى حركات عصبية . وفاطمة آخذة برأسها فى رفق تهدئها . ثم أحضرت لها دواء فى كوب وجرعتها . ثم أسندتها إلى ظهر مقعد كبير وجعلت تمسح جبينها بحنان إلى أن استرخت وأغمضت عينيها وراحت فى سبات . فتركتها وسارت على أطراف القدمين إلى الباب ، فوجدت فى وجهها شعبان واقفا ينظر إلى ما حدث . فبهتت قليلا ، ثم سحبته من يده ونزلت به إلى حيث كانا من الحجرة .

وقرأت فى عينيه تساؤلا . فترددت . أتقول له الحقيقة ؟ أم تخترع له حكاية ؟ .. ولحظ ترددها فعاجلها قائلا : « إذا لم أكن جديراً بثقتك فلا تقولى شيئاً » . . . فأجابته : « سأقول ، على أن يكون هذا سراً بيننا . هذه أختى » . وانطلقت تخبره أن هذه هى أختها الكبرى خديجة . لم تمت . أصيبت بالجنون . ولم يكن من الصواب ترك مرفت تعتقد أن أمها حية . فتعيش صباها وشبابها وهى تعلم أن أمها مجنونة . أمامها حياة . . . أمامها المدرسة وزميلاتها . . . ثم بعد ذلك فرص الزواج . . . كيف يمكن مواجهتها لكل هذا والناس تعلم بحالة أمها ؟ ! .. أخفيت عنها الحقيقة بإحكام . ونقلت الأم منذ أعوام إلى هذا المنزل المنعزل . وأقيمت على خدمتها هذه المربية القديمة لمرفت . تظل معها طوال الأسبوع لا تتركها إلا ليلة الجمعة ، فى إجازة تمضيها مع ذويها . وتحل محلها فاطمة منتحلة لمرفت العذر بأنها فى زيارة إحدى القريبات . وجنون أختها هذا هو كل الحقيقة ، التى لا يعرفها غيرها هى والمربية القديمة ومنير عاطف بالطبع ، لأنه هو المتولى الإنفاق على احتياجات

هذا المنزل ، من حساب التركة التى خلفها أخوه عادل ويديرها هو .
لكن . . . أكانت هذه حقًّا هى كل الحقيقة ؟

. . . هنالك سؤال لم يخطر على بال شعبان أن يسأله ، أو خطر له وأحجم : ما سبب هذا الجنون ؟ . هنا يكمن سر المأساة . لكنه على كل حال ما كان سيتلقى عنه جوابًا صريحًا . فما من أحد يعرف غير فاطمة وحدها ، وهى لا يمكن أن تفضى به . حتى منير عاطف يجهله . ولو أنه عرفه لأذلها وصير حياتها جحيمًا . بل إنها هى نفسها طالما حاولت خنقه فى صدرها وكتمان همسه . واقتضاها ذلك سنوات . استحال فيها الهمس الخانق إلى صدى بارد . . . ومع ذلك فقد مس شعبان حافة سرها يوم اكتشف أنها ليست بكرًا . أما من هو صاحب تلك الفعلة . وما ترتب عليها ، فإن الصمت الدائم قد ختم على شفتيها . . . إلا من رعشة عين ورجفة صوت لم يلاحظهما شعبان ، وهى تنطق باسم عادل عاطف زوج أختها ، الذى وصفت نظراته بأنها لا تقاوم !

إنها فعلا لم تقاومها طويلا يوم كانت فتاة فى التاسعة عشرة تدرس فى الجامعة ، وتعيش بينهما بقوامها الرشيق ونهديها البارزين . لا تريد أن تتذكر غوايتها وسقطتها . فإن مر الزمن لم يمح تمامًا آثار ذلك الخزى وآلامه . لكن كيف استطاع ذلك الرجل أن يسيطر عليها ويجعلها عشيقته ، أكثر من عام ، فى غفلة من زوجته ؟ ! إن أختها لم تكن تشك لحظة فيما نشأ بين زوجها وأختها الصغرى من علاقة آثمة . فقد كان زوجها مثلها الأعلى فى الرجولة والشهامة ، بعد أن وقف وقفته المتحدية أمام أسرته من أجلها . كانت تعبده . وربما كانت هذه العبادة هى التى أعمت بصرها . إن العبادة رفض للنظر . وظل الحجاب مسدولا وكثيفًا بينها وبين ما يجرى حولها . حتى وقعت الواقعة ذات ليلة . فطنت

إلى زوجها وهو ينسل من جانبها فى الفراش ويخرج من الحجرة . ظنته ذهب يقضى حاجة . لكن غيبته طالت . وخافت عليه ونهضت تتحرى الخبر . وعند اقترابها من حجرة أختها فاطمة سمعت أصواتاً غريبة . فوضعت عينها على ثقب الباب فأبصرت الكارثة ! . . . زوجها وأختها متعانقان فى فراش واحد . تماسكت حتى لا تقع على الأرض . وكتمت فمها بيدها حتى لا تنطلق منها صيحة . وارتمت فى فراشها ودست وجهها فى الوسادة وغابت عن الوعى .

مضت ساعات وأفاقت فوجدت زوجها إلى جوارها نائماً يغط . كان قد عاد ولم يفطن إلى ما بها . إلى الصدمة التى زلزلتها . نظرت إليه وهو راقد فى نوم عميق لذيذ . وأيقنت أن حياتها معه قد غدت مستحيلة . بل مجرد حياتها لم تعد فى الإمكان . انهار مثلها الأعلى . وانهار هيكل عبادتها . وأصبح الممدد بجوارها جثة أمل وجيفة حلم . وما قيمة حياة لن يخرج منها بعد الليلة إلا رائحة العفن . . . ولم تشعر بنفسها وهى تخرج من الحجرة إلى المطبخ . وتحضر كوزاً مملوءاً بالبترول ، تصبه على زوجها النائم وتشعل فيه النار ، ثم تطرح جسمها بجواره معانقة إياه ليشتعلا معاً . ميتة بالنار قد يكون فيها أيضاً معنى التطهير .

وهب زوجها واللهب يلفه ويلفها . فدفعها عنه بعيداً وألقى عليها أغطية الفراش فأنقذها من الموت . أما هو فظل يجرى هنا وهناك بلهبه وهو يصيح طالباً النجدة . ودخل الحمام محاولا إطفاء النار بإلقاء جسمه فى الحوض . لكن امتلاء الحوض احتاج إلى وقت . كانت النار قد تمكنت منه . وعندما خف الجميع لإسعافه كان إنقاذه قد فات أوانه . وتم إسعاف زوجته . لكن الهزة العصبية التى أصابتها من الحروق الخطيرة ومن مأساة الليلة ومما فعلته بزوجها . . . كل ذلك أدى إلى جنونها .

ولم يعلم أحد شيئًا من تفصيلات ما حدث . ولم يكن هناك بالطبع بالنسبة إلى مثل هذه الأسرة المحترمة أى تحقيق جدى . . . وما كان يسمح لأى خاطر أن يتجه إلى سبب يؤذى سمعة الأسرة .

ومسح كل شىء كالعادة فى القضاء والقدر ، وفى سيجارة افترض أنها تركت مشتعلة فى الفراش . وأسدل الستار على المأساة . . .

شخص واحد فقط شم رائحة الحقيقة . هى فاطمة . أدركت أن أختها اكتشفت كل شىء وأقدمت على هذا الذى حدث . لكن من المنبع الحقيقى للمأساة ؟ ! إنها هى فاطمة . . . الشعلة الأولى لهذه النار التى شبت فى هذا البيت . لا يمكن أن تنسى وجه الصغيرة مرفت . . . الطفلة بنت السادسة وقتئذ . . . وقد تجمد من الرعب لمنظر أبيها المتدثر باللهب ، وهو يصيح وكل من فى البيت قد هب لصياحه . . . لبثت مرفت فترات طويلة من حياتها تفزع لمرآى النيران . و بموت الأب وجنون الأم أصبحت مرفت وحيدة لا عائل لها إلا خالتها فاطمة . . . وطوت فاطمة كتاب حياتها الخاصة وكرست نفسها لبنت شقيقتها البريئة . ربما كان فى هذا بعض التكفير .

توالت هذه الصور سريعًا فى ذهن فاطمة وهى جالسة بجوار شعبان على الكنبة . ربما خطرت فى بال شعبان أسئلة ، وأهمها ما يتعلق بمرفت . ربما آن الأوان ليقترب من مدارها . وربما لم يكن الوقت قد حان . لا بد أن يبدو طبيعيًا . وليترك الظروف تقرر . وليكتف الآن بمواصلة ما هو فيه من توثيق علاقته بفاطمة . إنه كلما التصق بها اقترب من بنت أختها . ومد ذراعه وطوقها برقة . . . وإذا صوت كأنه صوت سقوط شىء على الأرض فى الطابق الأعلى . . . فنهضت فاطمة مرة أخرى لتصعد مسرعة ، وشعبان فى أثرها . لكنها استوقفته ، ورجته أن

يبقى فى مكانه وينتظرها . إن أختها لا شك صدمت شيئاً أوقعته على الأرض . وهى غير معتادة رؤية أحد غيرها وغير المربية . وربما أفزعها وجود شعبان . . .

وامتثل شعبان ووقف ينتظر فى الصالة . وأشعل سيجارة وأخذ يتمشى . ثم أدار عينيه يتفحص ما حوله شغلا للوقت . فوقع بصره على باب الحجرة المقابلة . فاتجه إليه بدافع الفضول وفتحه ونظر . . . إنها حجرة مكتب مهملة . فدخلها . وجعل يعبث بأدراج المكتب . وإذا هو يعثر فى أحدها على علب تسجيل فارغة مما يستعمل فى جهاز « الركوردر » . وفى قاع الدرج عثر على ورقة كتب فيها بقلم جاف عبارة : « العلب من رقم ١ إلى رقم خمسة سلمت إلى م . ى . ع . وتم قبض أول دفعة والدفعة الثانية مع تسليم الأرقام التالية » . ثم عبارة أخرى أو تأشيرة بخط آخر ولون قلم آخر : « ويلاحظ توضيح عناوين المهتم بأمرهم من الفئة أ » . . .

وسمع شعبان صوت فاطمة تنزل السلم فأغلق الدرج ، وخرج من حجرة المكتب . . . واستقبلها وقد آثر ألا يخفى عنها ما اكتشف . بادرها بالسؤال عن هذه الحجرة ، فقالت إنها حجرة مكتب قديمة لمنير عاطف . أتى بأثاثها هنا ضمن أثاث قديم آخر لم يعد فى حاجة إليه ، بعد أن ترك منزله الكبير عقب وفاة زوجته ، وانتقل إلى شقة الزمالك . سألها أهو يأتى إلى هنا ؟ . . .

أجابت بالطبع من حين إلى حين ليعطى المربية مرتبها ولوازم المنزل . فقادها من يدها إلى الحجرة وفتح الدرج وأطلعها على العلب الفارغة والورقة والرموز . وأفهمها ما استنتجه . فارتاعت . وقالت إنها لا تستبعد على منير عاطف أى شىء .

ولم يستطع شعبان أن يمكث لحظة . وكان من الضرورى أن يقابل صديقه وزميله أدهم فى أسرع وقت . فاستأذن من فاطمة وقبلها وانطلق خارجًا . . .

المنظر العاشر

(شعبان يدخل على أدهم فى مكتبه وهو يلهث)

شعبان : اسمع الخبر المزعج ! . . . رحنا فى داهية ! . . .

أدهم : يا ساتر ! . . .

شعبان : قل لى أولا . . . منير بك هنا ؟

أدهم : كان هنا وخرج .

شعبان : الحمد لله . . . أقدر أتكلم براحتى . . . لكن انتظر حتى ألقى نظرة فى حجرته . . . ربما يكون ترك جهاز التسجيل عنده يدور ويسجل فى غيبته . . . لحظة واحدة ! . . . (يخرج بسرعة)

أدهم : اللهم اجعله خير . . .

شعبان : (يعود) لا . . . الجهاز مقفول . . . نتكلم إذن باطمئنان . . انتظر نقفل الباب علينا أحسن . . . (يغلق الباب)

أدهم : كركبت بطنى يا أخى . . . تكلم ! . . .

شعبان : قل لى يا أدهم . . . تذكر أننا تكلمنا فى مسألة المرتبات

التى يجريها علينا . وتحمله مصروفات لا تدر عليه أى مكسب ؟ . . .

أدهم : طبعًا تكلمنا فى ذلك .

شعبان : وماذا قلنا عنه ؟

أدهم : قلنا إنه مغفل .

شعبان : لا يا حضرة . . . المغفل هو أنت . . . ولا مؤاخذة . . . أنا وأنت . . . نحن الاثنين أكبر مغفلين ! . . .

أدهم : ما هذا الكلام ؟ !

شعبان : الحاصل . . . إنه يجرى فى الخفاء عمليات مربحة من هذا البنك . بالنسبة إليه هو بنك حقيقى ؟ . . .

أدهم : أهو يقبض من الزباين ؟ . . .

شعبان : لا . . . ليس من الزباين .

أدهم : ممن إذن ؟ !

شعبان : من جهات أخرى .

أدهم : جهات أخرى ؟ !

شعبان : نعم . وهنا المسألة . . . هنا الخطورة . . .

أدهم : الخطورة على من ؟

شعبان : علينا طبعًا . لأننا لا نعرف حقيقة هذه الجهات التى يتعامل معها !

أدهم : من أعطاك هذه المعلومات ؟

شعبان : أنا نفسى . اكتشفتها بنفسى . . . بمحض المصادفة . . .
ألم أقل لك إنى أقابل فاطمة ؟ . . . أتعرف أين تم المقابلة ؟
فى منزل بالمعادى . منزل منفرد يضع فيه منير بك بعض
أثاثات قديمة له . . . اليوم دخلت حجرة مكتب مقفلة
وعثرت فى أحد أدراجه . . . تعرف على أى شىء
عثرت ؟ . . .

أدهم : تكلم . . . انطق ! . . .

شعبان : عثرت على علب فارغة لأشرطة تسجيل . . . هى بالطبع
تسجيلات الركوردر الموضوع هنا فى حجرته . . . وإذا بهذه
التسجيلات تباع ويقبض ثمنها على دفعات . . . تسلم
لشخص حروف اسمه م . ى . ع ، كما هو مدون فى ورقة
وجدتها بجوار العلب . فى هذه الورقة أيضاً مطالبة بإثبات
عناوين الأشخاص المهتم بأمرهم . . .

أدهم : المهتم بأمرهم ؟ !

شعبان : هذا هو نص المكتوب فى الورقة ... ولا بد أن نعرف ما هو
المقصود من عبارة « المهتم بأمرهم » . . . المهتم بأمرهم من
أى جهة ؟ !

أدهم : أنا متذكر الآن . . . هناك نوع من الزباين يهتم منير بك
بأمرهم بشكل خاص . . . ويطلب من هذا التليفون
إرسالهم إليه . . .

شعبان : أى نوع ؟ !

أدهم : تذكر جيداً وأنت تعرف . . . أنا أذكر أنه النوع الذى

يبدو عليه التذمر . . .

شعبان : آه التذمر ! . . .

أدهم : هذه الكلمة بالذات قالها لى اليوم ولم ألتفت إلى مدلولها .

شعبان : بأى مناسبة قالها لك ؟

أدهم : دخل على هنا قبل أن يخرج وأخبرنى بمشروع يقترح علينا تنفيذه . هو أن نمد نشاطنا إلى الأقاليم . قال إن من مهام البنوك أن يكون لها فروع فى كل مكان . وبنك القلق هذا يجب أن يكون مثل غيره من البنوك . . . لكن إنشاء فروع ثابتة فكرة سابقة لأوانها . ويحسن البدء بفرع متنقل . أى أن واحداً منا يحمل معه جهاز تسجيل وينتقل به فى الريف يسجل قلق الناس . خصوصاً تذمرهم . . .

شعبان : قال لك ذلك ؟ !

أدهم : وعرض على أنا القيام بالمهمة . ووعد بإحضار جهاز تسجيل صغير أحمله وأتجول به . على أن تبقى أنت هنا فى المركز الرئيسى .

شعبان : المسألة فى غاية الخطورة يا أدهم ! . . .

أدهم : يظهر .

شعبان : نعم . يظهر أننا اشتركنا فى نشاط مريب . . .

أدهم : وموقفى أنا أخطر ! . . . لأن لى سابقة اعتقال . . . ولن يصدق أحد حسن نيتى ! . . .

شعبان : لكن . . . من هو صاحب المصلحة فى هذا النشاط ؟ . .

من الذى يهمه الحصول على أشرطة التسجيل هذه ؟ ويهمه معرفة المتذمرين وعناوينهم ؟ !

أدهم : الجهات كثيرة ! . . .

شعبان : حقًا . ومختلفة ؟ . . . منها المشروع وغير المشروع ! . . . لكن، مهما اختلفت فإن منير عاطف قدير على التعامل معها فى نفس الوقت ! . . .

أدهم : فى هذه الحالة . . . ماذا يجب علينا أنا وأنت أن نفعل ؟

شعبان : من الصعب علينا طبعًا أن نستمر . . . ونحن نجهل على أى أرض نقف وفى أى طريق نسير ! . . . فلنأخذها من قصيرها ونهرب بجلدنا ! . . .

أدهم : هكذا بكل بساطة ؟ ! . . غير ممكن . هربنا لا يخلينا من المسئولية . بالعكس . . . نسيت أن عقد هذه الشقة باسمنا ؟ !

شعبان : آه صحيح ! . . .

أدهم : حبكها حبكة جهنمية ! . . . منير عاطف هو الذى يستطيع أن يهرب وقت اللزوم ... ويتركنا هنا فى الشقة غارقين فى شر أعماله ! . . .

شعبان : يا مغيث ! . . .

أدهم : ما الذى أوقعنا هذه الوقعة ؟ !

شعبان : أنت . . . من غيرك ؟ . . . أفكارك ؟ ! . أهذه فكرة تخطر فى بال عاقل ؟ ! . بنك . . . وإنشاء بنك . . . وأى

بنك ؟ . . . بنك القلق ! . . . كلمة القلق وحدها كافية الآن أن تؤدى بالإنسان فى داهية ! . . .

أدهم : الآن تقول ذلك ؟ ! ألم تعجبك الفكرة وتوافق عليها ؟ ! . . أتنكر أنها كانت فى ذاتها فكرة طيبة ، وكنا نريد من ورائها الخير ؟ . . .

شعبان : لكن ها هى قد انقلبت بغم ! . . .

أدهم : ليس بفعلنا ! . . . من ساعة أن دخل فيها منير عاطف هذا . . . ومع ذلك كيف كان يمكننا أن نكتشف . . .

شعبان : اكتشفت حضرتك أنه عبيط ومجنون ومغفل . . . وأنه هبط علينا من السما لينفق علينا لوجه الله !

أدهم : هذا أيضاً كان رأيك ! . . .

شعبان : كنت أجاريك . . . عيبى أنى أجارى الناس . . . لا أحب أكسر نفس أحد . . .

أدهم : دعنا من هذا الجدل العقيم ولنفكر فى المخرج ! . . .

شعبان : فكر يا سيدى أنت . . . أنت الذى أدخلتنا . . . وكما أدخلتنا أخرجنا !

أدهم : ليس هناك غير حل واحد .

شعبان : ما هو .

أدهم : نبلغ البوليس .

شعبان : البوليس ؟ !

أدهم : جهات الأمن .

شعبان : ماذا نقول لهم ؟

أدهم : نقول لهم عن الموضوع .

شعبان : لا بد من تقديم دليل . . . وإلا اتهمونا بالبلاغ الكاذب .

أدهم : الدليل عندك يا أخى ؟ . . .

شعبان : أين هو ؟ . . .

أدهم : عجيبة ! . . . ألم تقل الآن إنك عثرت على ورقة فى مكتبه القديم بمنزل المعادى ؟ !

شعبان : آه منزل المعادى ! . . . أتريد أن ندخل البوليس فى منزل المعادى ؟ !

أدهم : ولم لا ؟ . . .

شعبان : مستحيل .

أدهم : لماذا مستحيل ؟ !

شعبان : لا يصح هتك أسرار العائلات . فاطمة هانم استأمنتنى وأدخلتنى هذا المنزل . . . أتريد منى أن أدخل لها فيه البوليس يحقق ويفتش وينبش ؟ ! .

أدهم : يعنى نسكت ؟ !

شعبان : كيف نسكت على شىء كهذا ؟ !

أدهم : حيرتنى ! . . .

شعبان : دعك من حكاية البوليس والأمن ! . . . أنت ضامن ماذا قلت حضرتك فى الشريط ؟ !

أدهم : ماذا تقصد ؟

شعبان : ألا يحتمل أنك تكون لبخت ؟ ! هل أنت متذكر تماماً كل كلمة قلتها مع الزباين وسجلت عليك فى الأشرطة ؟ ! .

أدهم : اسمع ! . . . لا تجعل الفار يلعب فى عبى ! . . .

شعبان : أليس هذا من ضمن المحسوب حسابه عند منير بك ؟ ! . . . أن يمسك علينا عبارات معينة مسجلة بصوتنا عنده ؟ !

أدهم : أنا متذكر تماماً أنى كنت فى منتهى الحرص والاحتياط . . . راجع نفسك أنت ! أنت لسانك مفلوت ! . . .

شعبان : لا يا سيدى . . . أنا أعرف كل كلمة قلتها . . . أولا . . . أنا اشتراكى ماية فى الماية ! . . . وإن كنت بينى وبينك لا أعرف ما هى الاشتراكية ؟ ! .

أدهم : وأنا اشتراكى من ساسى إلى راسى . أكثر منك . وأعرف جميع المذاهب . . .

شعبان : أنا كل ما أعرفه أنى لا يمكن بالسليقة والفطرة أن أكون رأسمالياً ، وأنت كذلك مثلى . . . لأن اليوم الذى أردنا فيه تأسيس بنك . . . ما شعرنا إلا وقد وجدنا أنفسنا انقلبنا إلى مجرد . . .

أدهم : اسمع يا شعبان . . . أنا عندى حل . . .

شعبان : قل . . . ما هو ؟

أدهم : نروح للبوليس . . .

شعبان : البوليس ؟ ! . تانى ؟ !

أدهم : لا . . . اطمئن . . . لن نبلغ عن شىء بالذات . . . فقط

سنقول لهم أن يضعوا منير عاطف تحت المراقبة ونطلب من جهات الأمن إخلاء طرفنا من أى مسئولية جنائية عما يمكن أن يحدث أو يكون قد حدث بدون علمنا . بذلك نحفظ لأنفسنا خط الرجعة . فلا نتهم بأننا كنا فى يوم ما شركاء فى عمل غير مشروع . . .

شعبان : معقول .

أدهم : إذا اتضح لجهات الأمن أن نشاط منير عاطف موافق عليه أو متفق عليه كان بها . وإذا كان يقوم بنشاط مريب فنحن غير مسئولين ! . . .

شعبان : كلام طيب .

(نقر على الباب ، فيذهب شعبان ويفتح ويظهر منير عاطف يحمل جهاز تسجيل صغيراً . . .)

منير : (لأدهم) أحضرت لك جهاز التسجيل . . . حسب الاتفاق .

أدهم : آه . . . جميل جداً ! . . .

منير : (يلتفت إلى شعبان) أنت يا أستاذ شعبان تركت مكتبك وتغيبت أكثر من ساعتين ! . . .

شعبان : كنت فى زيارة . . . قريب مريض . . .

منير : من الغد أرجوك ملازمة مكتبك باستمرار . لأنك ستكون أنت الوحيد هنا . . .

شعبان : فى المركز الرئيسى ؟ . . . مفهوم ! . . . زميلى أدهم بلغنى بالنشاط الجديد ! .

منير : (لأدهم) بلغته التفصيلات ؟

شعبان : بلغنى . لكن . . . أنا لى ملحوظة يا منير بك . . . هذا النشاط هو عمل جديد غير متفق عليه بيننا فى الأصل ! . . .

منير : وهل ضرورى من اتفاق جديد ؟

شعبان : ضرورى . لأنه من حقنا نرفض أى تغيير فى الوضع .

منير : ولكنه لم يحصل أى تغيير . كل ما فى الأمر أننا ضاعفنا النشاط . وكل شيء بثمنه .

شعبان : بثمنه ؟ ! . بالنسبة لمن ؟ !

منير : (يحلمق فيه) ماذا تقصد ؟ !

شعبان : أقصد . . . طبعاً أنت فاهم . . .

منير : آه . . . تقصد أجركم ؟ !. طبعاً الأستاذ أدهم سيحصل على مصاريف انتقال . أما أنت فعملك هنا هو نفس عملك . . .

شعبان : ولكنى سأقوم هنا بعمل اثنين .

منير : سأعطيك يا سيدى . . . حق الدخان ! . . .

شعبان : وما هى ضرورة توسيع النشاط الآن ؟ !

منير : الأقاليم . . . لا نعرف عنها شيئاً .

شعبان : ومن الذى يريد أن يعرف ما فى الأقاليم ؟ !

منير : ماذا تقول ؟ . . . ماذا تقصد ؟ !

أدهم : زميلى شعبان مفاوت العيار لا تؤاخذه ! . . . دائماً يسأل

أسئلة بديهية . اسكت يا شعبان . . . دعنا نشتغل بهدوء . اترك لى أنا يا منير بلك هذا الجهاز . . . وعلى الباقى . . .

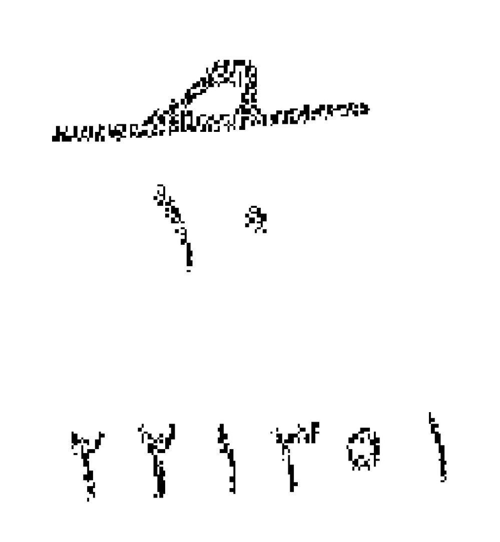
منير : وهو كذلك . . . من باكر السفر . . . سأعد لك خط سيرك . . . جهز نفسك ! . . . (يخرج . . .)

أدهم : (لشعبان) ماذا جرى لعقلك ! . . . إياك تجعل الرجل يفهم أننا كشفناه ! . . . كل شيء يجب أن يتم فى السر . . .

شعبان : اللهم أخرجنا من هذا البنك على خير ! . . .

تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية
تحت رقم ٥٣٤٣ / ١٩٧١

مطابع دار المعارف بمصر
سنة ١٩٧١


١٠
٢٢١٣٥١